منابع الإلهام

فى شعر فؤاد طمان

بحث مقدم من الدكتورة :

إيمان محمد عبدالفتاح الشماع

مدرس الأدب والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

مبحث تمهيدى

مُقَدِّمَة

– كان فن الشعر دائماً هو أقرب الفنون إلى نفسى .. ولا غرابة فى هذا فهو «ديوان العرب » وفن العربية الأول، وعندما بدأت دراساتى الأكاديمية رأيتنى حريصة على تتبع الشعر العربى المعاصر وتأمل نماذجه وآيات التجديد فيه شكلاً ومضموناً، وبينما حظى شعرنا القديم والحديث إلى حد كبير بدراسات هائلة أثرت المكتبة العربية فإن الشعر المعاصر لم يزل فى حاجة إلى تأمل وفحص وتنقيب . وإذا كان بعض الشعراء المعاصرين قد حظوا بدراسات قيمة ألقت الضوء على تجاربهم الشعرية وأبرزت المكانة التى يستحقونها فى التاريخ الأدبى المعاصر مثل إبراهيم ناجى وعلى محمود طه ونازك الملائكة وبشارة الخورى وصلاح عبد الصبور ومحمود حسن إسماعيل ومحمود درويش وأحمد عبد المعطى حجازى وأمل دنقل وغيرهم، فإن عدداً كبيراً من الشعراء المعاصرين والعرب ظلوا قابعين خلف ستائر النسيان أو على الأقل ما زال إنتاجهم الإبداعى يحتاج إلى أبحاث ودراسات تجلو جواهره وتضع عناصر الجمال والجدة فيه تحت نظر المتلقى جلية ساطعة سطوع الشمس فى رائعة النهار. وحتى كبار الشعراء الذين تناولهم النقاد بالدراسة باعتبارهم من أعلام الشعر المعاصر ما زالت أعمال معظمهم الإبداعية فى حاجة لمزيد من الدراسات الجادة . إن المكتبة العربية ما زالت فقيرة فى هذا الصدد، خاصة بالنسبة للأجيال التى أبدعت منذ منتصف القرن العشرين حتى الآن، فدراسات الشعر العربى المعاصر فى حاجة إلى سد النقص فيه .

– من هنا فقد وافقنى أساتذتى الأجلاء عندما اخترت لرسالة الماجستير التى أعددتها التجربة الشعرية لشاعرا سكندرى معاصر هو« فوزى عيسى» ولهذا أيضاً وافقونى على أن تتناول رسالتى للدكتوراه موضوعاً من موضوعات الشعر العرب المعاصر وهو :–

" شعر النضال ورفض التسلط الأجنبى فى الشعر المصرى المعاصر "

– ومن هنا أيضاً اخترت أحد شعراء مصر المعاصرين موضوعاً للبحث الماثل وهو الشاعر « فؤاد طمان » فلا زالت تجربته الشعرية الثرية وأعماله الإبداعية العديدة تتطلب دراسة وبحثا . وقد لفت نظرى بشدة منابع إلهامه ومصادر إبداعه الغنية المتعددة تعدداً يدعو للإعجاب، وهى المنابع التى لم يدرسها أحد تفصيلاً ولم تحظ بها دراسة جامعة حتى الآن، فرأيت أن أخصص لمنابع إلهامه تلك، هذا البحث علّى أسد بذلك نقصا فى مكتبتنا العربية المعاصرة .

(٢) الشاعر ٠٠ وتجربته الشعرية

** فؤاد طمان واحد من شعراء مصر المعاصرين الذين ينسبهم عدد غير قليل من النقاد إلى جيل الستينيات من القرن العشرين، رغم أن ما كتبه فى ذلك العقد لم يكن إلا بدايات شعره، وما أبدعه فى العقود التالية هو ما جعله شاعراً بارزاً بين شعراء جيله والأجيال اللاحقه له ٠٠ وهو من شعراء الإسكندرية المثقفين الكبار فلا تذكر الحركة الشعرية المعاصرة بالمدينة إلا وذكر كرمز من رموزها ٠٠

** ولد فؤاد طمان فى الثالث من ديسمبر عام ١٩٤٣ بالجيزة وانتقل فى العام التالى مع أسرته إلى الإسكندرية حيث نشأ فيها وتعلم فى مدارسها وتخرج فى كلية الحقوق بجامعتها عام ١٩٦٥ ثم تخرج فى الكلية الحربية فى مايو ١٩٦٧ وحصل على دورة الكلية البحرية فى ذات العام وعين نائباً للأحكام وعضوا بالقضاء العسكرى بالقوات البحرية، ثم عضوا بوفد مصر بالأمم المتحدة فى مؤتمرات قانون البحار، إلى أن استقال عام ١٩٨٢ برتبة العقيد البحرى ليعمل بالمحاماة بمدينة الإسكندرية ٠ وقد اختير فى السنوات الأخيرة عضواً بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر، وعضوا باللجان الاستشارية بمكتبة الإسكندرية ٠ وعضوا بلجان جوائز الدولة فى مصر وفى عام ٢٠٠٩ حصل على جائزة كفافيس اليونانية عن مجمل أعماله الشعرية (١)

** وربما كان التزام هذا الشاعر الوطنى والقومى .. وخوضه فى قضايا الأمة إبّان المد القومى وعقب انكساره، وغلبة الشكل التفعيلى الجديد للشعر على قصيدته .. وتوزع قصائده بين الكلاسيكية الجديدة والرومانسية والواقعية والرمزية هو ما جعل الشعراء والنقاد يصنفونه ضمن شعراء الستينيات الذين نحوا جميعاً تلك المناحى ومنهم الشعراء أمل دنقل، ومحمد إبراهيم أبو سنة، وفاروق شوشة، ونصار عبد الله، ومحمد مهران السيد وأضرابهم ٠

** يقول الشاعر / محمد إبراهيم أبو سنة : ينتمى الشاعر فؤاد طمان إلى جيل الستينيات أو ما يسمى بجيل الالتزام الوطنى والقومى، وهو يمثل فى شعره الصوت السكندرى المبدع الذى يمزج فى براعة فنية بين هموم الذات وهموم الجماعة عبر ديباجة شعرية تكتسى برونق مؤثر من الصور الشعرية الجميلة، وهو يغترف من معين ثقافى وشعرى عميق تلتقى فيه الحداثة بالأنساق الشعرية المختلفة "(٢)

** ويقول الشاعر الدكتور / فوزى خضر عن الشاعر : ملأ صوتهُ الجهورى مهرجانات الشعر فى الإسكندرية منذ الستينيات واتسعت دوائر تواجده الأدبى حتى صار وجهاً شعرياً معروفاً على امتداد البلاد العربية الشرقية منها والغربية وإذا ذكرت الإسكندرية الشاعرة كان لابد أن يذكر فؤاد طمان" (٣)

** كان للإسكندرية بتاريخها وبحرها وثقافتها وأساطيرها أثر هائل على شعر فؤاد طمان، وقد ميز هذا التأثير قصيدته إلى حد كبير عن قصائد أبناء جيله من شعراء مصر ومن بينهم شعراء الإسكندرية أنفسهم ٠٠ ولا تخلو مجموعة شعرية من مجموعاته التسع من قصائد يطل منها البحر وتطل منها المدينة بشكل لافت ٠

** يقول الشاعر / فاروق شوشة " لم يستطعْ فؤاد طمان إلا أن يكون وفياً لمفردات عالمه صوراً وظلالاً وطقوساً وإيحاءات تتمركز حول " الإسكندرية " محبوبة الشاعر المقدسة وركنه الحانى كما كان يقول " ناجى " عن بيت محبوبته ٠ والملكة (الإسكندرية) التى تشاركه الاستماع إلى نبض النشيد القديم هى محور هذا العالم الشعرى الشديد الخصوصية والامتلاء حتى الحافة بعناصر متآزره تطلق فينا عطر المكان والزمان : النوارس والريح والموانى وأسراب الطيور المهاجرة ورمل الشواطئ والزبد والشطوط والبحر والرحلة وطائر الرعد ٠٠ ياله من فضاء شعرى تتقافز فيه القصائد كالنوارس وتزمجر فيه الرغائب كالعواصف حين تحرك أمواج البحر العاتية ٠ والشاعر فى حالاته المختلفة : القبطان والمغامر والباحث الجوال والمستكشف والمحترق بنار المعرفة يطل من بين سطوره يحرضنا على الإبحار من خلفه لعلنا نكتوى كما اكتوى ونشتهى كما اشتهى ونعود كما يعود بلؤلؤة المستحيل ٠ هل هى الروح السكندرية العارمة تلك التى تلفحنا بصهدها وهى تموج فى شعر فؤاد طمان الذى عايش البحار كأنه رجل همنجواى فى رائعته " العجوز والبحر أو الكابتن " اهاب " الذى يطارد الحوت الأبيض فى رائعة "هيرمان ملفيل " موبى ديك "، بكل ما فى الروايتين من بطولة وصراع أسطورى ورمزية تكسوها فلسفة حزينة مريرة ٠ حتى عندما ترك القوات البحرية وامتهن مهنة المحاماة فإن هذه الروح لم تفارقه والبحر بكل مفرداته ساكن فيه ٠ ما يكاد العزف الشعرى يبدأ والنزف الإنسانى ينثال حتى يستيقظ فيه المارد البحر، محتضنا ابنته الأثيرة" الإسكندرية "، وشاعرها الجوال الذى يشبه

كثيراً " شعراء التروبادور " الذين كانوا يغنون لمحبوباتهم على الجيتار فى ضوء القمر تحت الشرفات فى جنوب فرنسا وفى أسبانيا وإيطاليا – إبان العصور الوسطى – وكأنهم شعراء الحب العذرى فى تراثنا العربى من أمثال مجنون ليلى وقيس لبنى وجميل بثينة وكثير عزة وعروة عفراء وغيرهم ٠٠ فؤاد طمان واحد من شعراء " التروبادور " يحمل جيتاره ويغنى لمحبوبته الإسكندرية ويتغنى بها " (٤)

– وفى دراسة أخرى يقول فاروق شوشة :

" عالم فؤاد طمان الأثير هو عالم البحر، ولغته ومفرداته ومعجمه الشعرى عالم بحرى زاخر ٠٠ والبحر لم يعد فى شعره مجرد بحر ٠ إنه الشاعر فى حقيقته وجوهره، كل منهما تماهى فى صاحبه فلم نعد ندرك المسافة بين الشاعر والبحر الذى صنعه لنا على عينه وأبدع فى تشكيله والكشف عن صبواته وتجلياته فى ايقاع موسيقى صاخب كالبحر، ناعم أملس كالبحر، مراوغ غير متوقع كالبحر ٠٠٠ الشاعر – البحر : يكشف فى شعره عن حقيقته وعن مطلق تماهيه ٠ ليس فى ديوان الشعر السكندرى كله ما يماثل هذا الفناء والتلاشى والذوبان فى حضرة البحر : المعشوق الأول لكل السكندريين " (٥)

** بدأ فؤاد طمان محاولاته الشعرية فى بداية الستينيات وهو طالب بكلية الحقوق شاعراً عمودياً وفى عام ١٩٦٤ بدأ محاولات كتابة القصيدة التفعيلية التى لم يكن مؤمناً بها من قبل وأصبح من مبدعيها الكبار ٠ ولم ينقطع حتى الآن عن كتابة القصيدة العمودية التى يراها خالدة جديرة بالبقاء يكتبها جنباً الى جنب مع قصيدة الشكل الجديد ٠ لم يكن فؤاد طمان راضياً عن تجاربه الشعرية الأولى كما أعلن بنفسه (٦) وما لبث أن أخلص للشعر وتألق فى الثغر كشاعر لامع من شعرائه ٠

** وتوالت مجموعاته الشعرية إلى أن بلغت تسع مجموعات ومن أهمها : بيروت تحت الحصار (١٩٨٥)، أوراق الرحلة المرجأة (١٩٩٥)، مدى للورد والرصاص (٢٠٠١)، بكائية على البحر (٢٠٠٣)، أبجدية النجم البعيد (٢٠٠٣)، نبيذ الآلهة (٢٠٠٨)، وفى عام ٢٠٠٥ صدر الجزء الأول من أعماله الشعرية الكاملة كذا

صدرت له المختارات الآتية : أشعار مختارة (٢٠٠٦)، " ما أبقت الريح " (٢٠٠٧)، " المختار من أشعار فؤاد طمان ٢٠٠٩ قصائد من فؤاد طمان " (٢٠١٠) (٧)٠

** وقد ترجمت بعض قصائده إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والأسبانية واليونانية ٠

** فى الشكل العمودى كتب فؤاد طمان القصائد الكلاسيكية والرومانسية والرمزية والحداثية، وفى الشكل التفعيلى الجديد كتب قصائده المتنوعة التى تنتسب للرومانسية والواقعية والحداثة، دون أن يقع أسيراً لمذهب معين أو لمدرسة محددة طامحاً إلى إبداع حقيقى أى خلق على غير مثال ٠

** فمن قصائده الكلاسيكية العمودية قصيدته التى أهدها لروح شاعر الشام الكبير " بدوى الجبل " وعنوانها " كلاسيكية الشام " (٨) وفيها يقول :

سقى الله شط اللاذقية مثلما
تمنى فتاها وهى يغشى المنافيا
وطودا منيعًا فى حماها مكابراً
وجاد الربى فيها ٠٠ ورد الليليا
سهرت بها بين الأحبة فارتوت
بساتين روحى بعدما همت صاديا
وغادرت ٠٠ لا ارتاح الفؤاد ٠٠ ولا سلا
– على مر أيام البعاد – المغانيا
فلا ران صمت حيث غرد بلبل !
ولا كف قلب كان بالأمس شاديا !

•

معذبتى بالشام : باق غرامنا

وطيفك مـــا زال الحبيب المناجيا
تضيع فصول العمر منا ٠٠ ولـــم يزل
جنانيَ حصن العشق ٠٠ ثبتاً ٠٠ معانيا
تمزقه الأشواق حـــزنـــا ٠٠ ولـوعـة
ويعلـــم يـا حسنـــاء ألا تـــلاقيـــا
فبينى وبين " الغوطتين " عـــواصـــف
وجيش مغول يقطع الأُفْـــق ضـاريـا
معذبتى بالشـــام إنـــى علـى الهـوى
مقيم ٠٠ ألا وَعْـدٌ يـــروِّى فـؤاديـــا ؟
ويمسح دمع الوجد ٠٠ ثم يعيد لـــى
صباى الـذى وَلَّـى ٠٠ وسيفـا يمانيا ؟!

ومن شعر فؤاد طمان العمودى الذى يحلق خارج الفضاء التقليدى مقطوعته " عمر للوحى والوصال " (٩) التى نشم فيها عبق الجديد وإن كتبت فى الشكل الموروث وفيها يقول :

أيا حور الجنان العـــين
مـــن صلى هنـــا قبلى
وخاصم كل ذاك الزيف
واستلقى علـــى التـــل
ليسلم عمره للوحـــــى
والأشـواق، والوصـــل

يغنـى ٠٠ يشعل اللوحات
مــن ضوء ٠٠ ومــن ظل
وعينـــاه علـــى نجـــم
يراود حلكـــة الليـــل !

** وقد نال شعر فؤاد طمان العمودى تقدير الكلاسيكيين والمجددين معاً ٠ يقول الأستاذ الدكتور / محمد زكى العشماوى : " المجددون هم على الأغلب شعراء يملكون وعيًا تاريخياً عميقاً والذى لا يملك هذا الوعى لن يكون مجدداً ٠ وشاعرنا فؤاد طمان أحد هؤلاء الذين قويت جذورهم واستطاع أن يجعل من هذه الجذور قوة باعثة لكى يضيف الجديد ٠ ومحافظة شاعرنا على الشكل التراثى للقصيدة العربية فى بعض أعماله لا يعنى بأى شكل من الأشكال الثبات أو السكون الذى يقف حائلاً أو مانعًا لقضايا التجديد فى الرؤية ووسائل الأداء ٠ فالشكل ذاته يبقى محتفظاً بديناميته وفاعليته، قديما كان أو حديثاً، حين يصبح جزءاً خاضعاً لعبقرية الشاعر الخلاقة ٠ والمعجزة هى فى تشكيل اللغة واستغلال طاقاتها وتوظيف الأدوات الفنية من أجل خلق عمل فنى متكامل وجديد ٠ وشاعرنا فؤاد طمان واع وعياً كاملاً بهذه الحقائق وهو يدرك أننا نمر بمرحلة حضارية تغاير مرحلة أسلافنا، ومن ثم فقد كانت له طريقة تعبير خاصة، وقد أثبت بالفعل أن فى مقدور الشاعر مع محافظته على الشكل القديم أن يفجر من خلاله الطاقة ويحررها ويضيئها، وأن يحقق لشعره دنياه الفريدة المبتدعة " (١٠)

** وإذا كان شعر فؤاد طمان العمودى قد انحصر فى الستينيات فى الشعر العاطفى
والوطنى (١١) فقد امتد – فى مرحلة النضج – إلى كل مناحى الفن والوجود ٠

** وهذا ما ينطبق أيضاً على شعره التفعيلى الذى امتد إلى كل الأفاق وحاز فى معظم نماذجه صفة الشعر القومى أو سمات الشعر الإنسانى العالمى وساهم بحق فى تجديد القصيدة العربية الجديدة ٠

** يقول الشاعر فاروق شوشة : " ينتمى فؤاد طمان إلى صنف من الشعراء لا تهدأ أبداً أرواحهم الهائمة الباحثة عن العوالم المجهولة والجزر التى لم تطأها قدم بشر ٠ إنهم الشعراء المعذبون بحلم المستحيل الخارجون فى أثره يحاولون اقتناص لؤلؤته الأسطورية ٠٠٠٠٠٠٠ تتنوع تجليات فؤاد طمان الشعرية وتتنوع عذاباته الوجودية وشجونه الكونية ومعارجه الصوفية ٠٠٠٠٠ القصيدة عند فؤاد طمان عالم مفتوح يحاول أن يتسع لرحابة الدنيا بأكملها (١٢)

** ويقول الدكتور فوزى خضر مؤكدا على اتساع تجربة الشاعر وامتدادها إلى آفاق الفن والوجود :

" لقد استطاع فؤاد طمان أن يقدم تجربة شعرية غنية بأبعادها الإنسانية والفكرية والفنية " (١٣)

** ولعل قصيدة "البحر" هى النموذج الأمثل الذى يمثل عالم فؤاد طمان الشعرى ويمثل خير تمثيل شعره الجديد ذا الشكل التفعيلى وفيها يقول :

زرقة البحر صفحة عمرىَ..
فيها البداية والمنتهى!
لا أحب الصحارَى...ولا التُّربةَ الحجريةَ...
يبعثنى الماءُ إما ترقرقَ..

والنورُ إمّا هَمَى
فوقَهُ..فزَها..
*****
انظروا كيف هَلَّل سربُ النوارسِ، لمَّا رآنى..
وكيف احتفى بيَ فوق الزَّبدْ..
فأنا مثله صاحبُ الموجِ..

أعرف أسراره الأزليّةَ..
...لا أكتبُ السِّرَّ فى الماءِ..
بل أنقشُ الآن ما لا يزولُ على الصخرِ..
إنى ـ كأصحابىَ الشعراء ـ فتًى
أرسلته الرياح العتيَّة للموجِ..
وائتمنته على صفحات الأبدْ!
وأنا القَطرُ.. وعد السُّحُبْ..
وانا وعدُ كُلِّ الصحابِ الذين مَضَوْا
ذات يوم،مع الريحِ..فى زورق الحُلْمِ،
أو في حنايا المنونِ..
أنا طيف هذا الغريبِ الذى يسكنُ البحرَ
(بردته فوق رملِ الشواطئ عاطرةٌ..
وعلى أسقف المدن الأزليةِ راياتُهُ..
وبكهف من الصخرِ
يُنْشِدُ أنشودة تبعث الروحَ فىَّ..
ويبرق إصحاحه فى ليالىَّ..)
ابن الشطوط الحزينُ أنا..
لا تفارقنى دهشتى وأنا ألج الموج كل صباحٍ..
ومن دون جدوى أغوصُ..أغوصُ..
وتمضى السنون ولا أجد اللؤلؤةْ..
لا يفارقنى الحُلمُ!

أمضى لأوقظَ فى الكون دهشَتَهُ المنبِئةْ..
ابن هذى الشطوط الحزينُ أنا..
شَطرَت فى الصِّبا القلبَ فاتنةٌ
من زمان الصِّبا تنتحبْ..
لا أزال أراها بعيداً..بعيداً..وراء الحُجُبْ!
المنارات تعويذتى الواعدَةْ..
واخضرار الصخور على مطلع البحرِ
يوقظ قلبىَ..يشعل جذوتىَ الخامدَةْ..
عَزَفَ المَدُ والجَزْرُ تحت نوافذ بيتى القديمِ..
ففاض الحنين..وهَمَّت بىَ الربَّةُ الخالدةْ..
مغْرمٌ أنا بالماءِ..والرملِ،
والصدفِ المتناثر فى شاطئ البدءِ،
وامرأةٍ كالبروق تمرُّ على الغيمةِ الشاردةْ..
.....
جئتُ من موجةٍ
لأُطارحَ محبوبتى الحُبَّ ليلاً..
وأنجبَ منها بحارا من النورِ..
ثم أُلَقِّنَها السِّرَّ!
أمنحها فى سرير الغرام اعترافىَ واسمىَ..
ثم أغِيبُ مع الموجِ فى ليلةٍ راعدَةْ!(١٤)

** أما عن اللغة فى شعر فؤاد طمان فقد لفتت انتباه كل من كتب عنه تقريباً من الشعراء والنقاد، فهى لغة جزلة صحيحة فصيحة بليغة وهى وإن كانت وثيقة الصلة بلغة التراث القديم إلا أنها تأخذ منها الأجمل ٠٠ إنها لغة متجددة، مفرداتها طازجة حية تم اختيارها بعناية ودقة وتشكل مع موسيقاه وصورة الشعرية نموذجاً باذخاً للقصيدة العربية الجديدة ٠ ويكفى أن نتأمل قصائده الثلاث السابقة لندرك ذلك٠

– يقول عاشق لغتنا الجميلة الشاعر / فاروق شوشة أمين مجمع اللغة العربية عن لغة ذلك الشاعر :

" عالم فؤاد طمان الشعرى المفتوح المزهو بنشوته وقدراته لا يفتقد لغته المحكمة أو موسيقاه المتنوعة المقامات والإيقاعات أو صورة الطازجة المدهشة التى يبدعها الشاعر من عناصر ومفردات وألوان مألوفة ليست غريبة ولا نائية، لكن قدرته الفنية وسحره النافذ هو الذى يتيح له أن يولد منها لوحات لا تفارقنا ضربات ريشتها ٠٠٠٠ لغة فؤاد طمان وجموحه المرتج بالعواطف يجعل لقصيدته مذاقها المختلف" (١٥)

– يصف " فاروق شوشة " لغة فؤاد طمان بأنها : " لغة شعرية شديدة النقاء والتكثيف والحسم ٠٠ لغة تغمرنا من حيث لا نحتسب وتفهق بالكلمات فى ثقة واقتدار ٠٠ هذا شاعر حقيقى يجاوز نفسه باقتدار ويصنع لغته الشعرية على عينه"(١٦)

– ويصف الناقد الدكتور " محمد عبد المطلب " لغة فؤاد طمان بأنها " لغة شعرية رفيعة " (١٧)

– ويصف الشاعر الباحث العراقى " عذاب الركابى " لغة فؤاد طمان الشعرية بإنها لغة رشيقة (١٨)

– أما الشاعر / محمد إبراهيم أبو سنة فيقول : إن " بواكير شعر الشاعر السكندرى فؤاد طمان كانت تلفت الأنظار إلى هذه الرهافة العذبة والحرص على الألفاظ الصافية " ويقول : إن تجربته الشعرية يتجلى فيها الإتقان اللغوى والبلاغى والفنى " (١٩)

– وقد أكد العالم الناقد الدكتور / محمد زكى العشماوى ما ارتآه أبو سنة فقال " حسبك أن تقرأ قصيدة أو قصيدتين من شعر فؤاد طمان لتشعر أنك فى حضرة شاعر صافى النبعة يتمتع بقدر مدهش من التلقائية وصفاء العبارة " ٠ ويضيف أن : " ثمة

سمات بارزة ومحددة لطبيعة الأداء الفنى لشاعرنا (طمان) من أهمها قدرته على تشكيل رؤيته الإبداعية مستعيناً فى ذلك بطريقته الخاصة فى بناء لغوى تتحد فيه الدفقة الوجدانية مع الدفقة الفنية ٠٠٠ وللأداء اللغوى عند شاعرنا فاعلية متجددة داخل بناء القصيدة وهذه الفاعلية تتمثل فى عدة علاقات متداخلة متضامة فى نسيج من المعطيات الإيحائية تصويراً وإيقاعاً ٠٠ ولذلك كان من أهم ما يحدد القيمة الإبداعية عند شاعرنا ما يختبئ تحت السطح اللغوى ٠٠٠٠ ويلاحظ القارئ لشعر فؤاد طمان أن اللغة عنده – فضلا عما تتسم به من العذوبة والرقة والحيوية وسلاسة التدفق – غنية بتلك الطاقة المختزنة فى حروفها وكلماتها ومقاطعها بدرجة تشعرك بأنها تستمد حرارتها من دمها ٠٠ ومن هنا كانت وظيفة اللغة عند شاعرنا الإيحاء أكثر من الإيضاح " (٢٠)

– أما الناقد الباحث الدكتور / صلاح عبد الحافظ فيقول : " إن الصور الجزئية عنده قد تحتوى التشبيه أو الاستعارة وهى صور استطاع الشاعر أن يصل بها إلى قمة فنه فى عقد العلاقات بين المشبه والمشبه به، بالإضافة إلى ما توحى به الصورة من رمزية فيزيد ذلك فى كثافتها وغناها ٠٠٠٠ لقد استخدم الشاعر بمقدرة باهرة أدواته اللغوية ٠٠٠ وتترابط الصور مع بعضها البعض عبر هذه اللغة التى أجاد استخدامها (٢١)

(٣) منابع الإلهام فى شعر فؤاد طمان

** من أكثر ما يلفت النظر فى تجربة فؤاد طمان الشعرية تعدد منابع إلهامه ومصادر إبداعه واتساع ثقافته التى تغذى تلك المنابع وتنوع تلك المصادر ٠

** فمن تلك المنابع مظاهر الطبيعة خاصة البحر، ومنها وقائع التاريخ الإنسانى وأحداث حضاراته بما فيها التاريخ الفرعونى بطبيعة الحال والتاريخ العربى والإسلامى والإنسانى بصفة عامة ٠

** ومن منابعه الأسطورة ٠٠ (الفرعونية والإغريقية بصفة خاصة وميثولوجيا البحر بصفة أخص ٠٠٠) ولشعره منابع من التراث العربى والإسلامى والمسيحى واليهودى ٠٠ ومنابع من الأدب العالمى المعاصر والحديث (اليونانى والألمانى والفرنسى والإنجليزى والأسبانى والأمريكى والعربى) ومن الثقافة العالمية بصفة عامة، ومصادر من الواقع العربى المعاصر ناهيك عن كنز إبداعه الثرى الذى يغترف منه من آن لآخر وهو كنز ذكرياته ٠٠ (ذكريات الطفولة والصبا وذكريات اللحظات التاريخية الحاسمة التى عايشها إثر هزيمة ١٩٦٧ ثم حرب الاستنزاف فحرب أكتوبر، وذكريات حبه الأول وتجاربه العاطفية وموت حبيبته) ومن تلك المصادر اتخذ الشاعر رموزا وأقنعة وأبدع صوراً مشحونة بالعواطف وفجر انفعالات ودلالات أثرت قصائده وأعطتها مذاقا مختلفا عن أقرانه ومجايليه ٠

** وقد أشار معظم من تناول أعمال فؤاد طمان من شعراء ونقاد وباحثين الى تعدد ينابيع إلهامه ٠٠ وبصفة خاصة الأستاذ الدكتور / سعد دعبيس الذى يقول عن الشاعر بصدد حديثه عن ديوانه " أبجدية النجم البعيد ": " إن مصادر إبداعه تعددت تعددا مثيراً للإعجاب والتساؤل ٠٠ ففى شعره نرى قصائد ترجع إلى مصادر فرعونية ومصادر أسطورية ومصادر من التراث العربى ومظاهر الطبيعة ومصادر من الواقع العربى المعاصر" ٠

وفى حديثه عن الديوان التالى " بكائية على البحر " يقول إن مصادر فؤاد طمان الثقافية فى هذا الديوان لاتكاد تختلف فى نوعيتها عن مصادره فى الديوان السابق ولكنها تضم مصادر جديدة يكتشفها الشاعر ليضيفها إلى الزاد الثقافى الذى يقدمه شعره : مصادر فكرية وفنية جديدة لم يوظفها فى ديوانه السابق (٢٢) ٠

** وفى إشارته لمنابع إلهام فؤاد طمان التاريخية يقول الناقد الدكتور/ محمد عبد المطلب عن ديوانه " أوراق الرحلة لمرجأة " يمكن اعتبار هذا الديوان شعرية من طراز خاص لأنها تعيد طرح الواقع التاريخى من خلال لغة شعرية رفيعة ٠ ومن ثم لم تتجه عناية الإبداع إلى رصد الأحداث بكل تفصيلاتها وإنما اتجهت العناية إلى استحضار مجموعة من الشخوص أو الأحداث الملخصة وإحالتها إلى أقنعة للواقع الحضورى وإنما نشير فقط إلى ما تردد منها بكثافة واضحة مثل : المماليك والتتار ويوسف عليه

السلام ٠ ويلاحظ أن الاستدعاء التاريخى كان يذهب إلى مناطق مختلفة وأزمنة متغايرة فيذهب إلى الزمن الفرعونى لاستدعاء آمون ومنف وطيبة ٠ كما يذهب الى الزمن العربى (الناصر صلاح الدين) والزمن الإبداعى القريب (أمل دنقل) ٠ ثم استيعاب الاستدعاء للواقع المكانى بكل أبعاده المصاحبة : الجليل – الأوراس – بغداد – عَمّان، يثرب – دمشق – اللد – الرملة – قرطاج ٠ وفى هذا الإطار المكانى تأخذ الإسكندرية أهمية خاصة كتعبير عن تجربة خاصة مع المكان " (٢٣)

** اما الشاعر / فاروق شوشة فيضيف إلى منابع إلهام فؤاد طمان : " السفر " فيصفه بأنه شديد الهوس بالسفر والترحال والتنقل ولكنه يحمل معه – حيثما حل مدينته – الإسكندرية – ووطنه ٠٠٠٠ ويقول : " إنه يحمل طوق المعرفة ونزق المغامرة ولوعة الحنين الغامض الى المزيد من الرحيل" وإنه فى حالاته المختلفة : القبطان والمغامر والباحث الجوال والمستكشف والمحترق بنار المعرفة يطل من بين سطوره يحرضنا على الإبحار من خلفه ٠٠٠٠٠ " ٠ وليس غريباً بعد ذلك أن يقول شوشة " إن القصيدة عند فؤاد طمان عالم مفتوح يحاول أن يتسع لرحابة الدنيا بأكملها " (٢٤)

** ومن الباحثين الذى تتبعوا منابع الإلهام عند فؤاد طمان الشاعر / محمود عبد الصمد زكريا الذى يوسع مصادر إبداعه لتمثل فى نظره التجربة الإنسانية كلها فيقول : " إن هذا الشاعر (فؤاد طمان) قد اختزن واستوعب تجربة بنى آدم منذ وجودهم على هذا الكوكب وهو يحاول إفراز التجربة فنياً فى قالبه الشعرى غير التقليدى الذى هو كون مصغر أو مختزل مشحون بتجربة الإنسان منذ خلقه وحتى بعثه ٠٠٠٠٠ فالقصيدة الطمانية – إن صح التعبير – إذن تحاول إعادة خلق ضروب السلوك البشرى المتكرر لكن بوعى ونظام تقنى وتطوير يحقق الانسجام مع الاستفادة التامة من دروس التاريخ " (٢٥)

** أما الشاعر / محمد إبراهيم أبو سنة فهو عندما يود الإشارة إلى منابع الإلهام التى يستقى منها الشاعر إبداعه نراه يتحدث عن " اغترافه من معين ثقافى متنوع، وأن التجارب التى تشكل مصدراً لإبداعه هى تجارب الحب ومعاناة الوطن والوحدة العربية، وأنه يتوحد بروح التاريخ، ويستلهم من الطبيعة (وبصفة خاصة الإسكندرية) الصور

الشعرية التى ترتكز على مفردات البحر، كما يميل لتطعيم شعره بعروق رمزية من التاريخ العربى (٢٦)

** تلك كانت إلمامة وجيزة بالشاعر موضوع البحث وتجربته الشعرية تتضمن : شهادة عدد من كبار الشعراء والنقاد والباحثين عن مجمل أعماله، وإشارة وجيزة عامة لمنابع إلهامه تمهيداً للحديث المفصل عن تلك المنابع ٠

المبحث الأول
الأساطير الإغريقية

** يعتمد فؤاد طمان المنهج الأسطورى فى شعره، وتطل أساطير الفراعنة والعرب والإغريق ولوحات ميثولوجيا البحر من قصائد كثيرة منها : لهما اللواء، باق أمير الشعر، بيت الصبا،، نبيذ الآلهة، زرقة مبتلة بالنور، الحورية، العراف، هنا علمتك الأسماء، آخر المتدارك، إيزيس، اقتياد زرقاء اليمامة إلى باب زويلة، لوحات من مدن الحب والهزيمة، العودة من مملكة الماء، فينوس، وغيرها من القصائد الواردة فى مجموعاته الشعرية ومختاراته سالفة الذكر ٠

** وقد عرفت الحضارات المختلفة القديمة أساطير حاولت بها الشعوب تفسير ما غمض عليها من أسرار الكون والوجود، واستشراف الغيب والنواميس التى تحكم الإنسان، والبحث عن خالق هذه الدنيا واستكناه أقداره التى يحكم بها البشر ٠ والأسطورة بطبيعتها تعتمد على الخيال وشهوة تفسير العالم بل الكون كله، وعالمها يتميز بالغموض والإدهاش القصص المتداخلة والمتشعبة التى أعمل الخيال البشرى عمله فيها ٠

** فالأسطورة فى المصطلح هى رواية أعمال إله خرافى أو كائن خارق ما، أو حكاية تقص حادثاً خياليا أو تشرح شرحاً مفترضاً – على غير أساس علمى حقيقى – عادة أو معتقداً أو نظاماً أو ظاهرة طبيعية ٠ وللأجناس والأمم والقبائل والأماكن أساطيرها الخاصة ٠ ويستعمل شعراء جميع الأمم وقصاصوهم الأساطير فى أغراض شتى فيعيدون روايتها شعرا أو نثراً ٠٠ غير أن الشعراء يجدون استعمالا آخر للأساطير فى تلميحاتهم وإشاراتهم وتشبيهاتهم واستعاراتهم وغير ذلك من الصور البيانية والبديعية " (٢٧)

** ويقول الشاعر / صلاح عبد الصبور " إن من القضايا النقدية التى طرحها الشعر الحديث قضية استعمال الأسطورة كعنصر شعرى ٠ وقد رأينا منها مستويات مختلفة فى تراثنا الشعرى الحديث واستطعنا أن نقبل بعضا منها حين وجدناه عنصرا فنيا مندمجا فى

كيان القصيدة يؤازر عناصر القصيدة الأخرى فى جلاء صورها وحمل إيحاءاتها، ولكننا لم نستطع أن نقبل كثيراً من صور استعمال الأسطورة حين وجدناها منفصلة عن القصيدة (أى لا تخدمها)

** ويفرق صلاح عبد الصبور بين الأسطورة والقصص والسير والملاحم الشعبية فى هذا الصدد فيقول :

– لا شك أن هناك خلافا بين الأسطورة وبين التراث الشعبى ٠ وإن كان كلاهما يصلح مادة شعرية وكلاهما يعبر بطريقة ما عن الحياة الروحية للشعب ولكن خلال مرحلتين مختلفتين ٠ فالأسطورة أقدم من القصة الشعبية ٠ كما أن الأسطورة تتعرض عادة لتفسير الكون، أما القصة الشعبية فتتعرض لحادث صغير من أحداث الحياة اليومية أو تنسق نمطا من التجربة الإنسانية فى سياق يسهل ترديده وحفظة من جيل إلى جيل ٠٠٠٠٠ وحين استردت الأسطورة تقديرها فى عصر التنوير شغل العلماء بتفسير الأساطير ٠٠٠٠٠٠ وقد رأى فيها بعض العلماء لونا من الدين البدائى (قبل ظهور الأديان) وعدّها آخرون شعائر قولية كما رآها آخرون تفسيرا لظواهر الوجود ٠ ولكنهم جميعاً قد لحظوا فيها عنصرين واضحين أولهما هو أن الأساطير قد تتشابه بين مواطن الإنسان المختلفة فى العالم ٠ فهى إذن تعبير عن الذات الإنسانية فى وحدتها وجوهرها ٠ وثانيهما أن فى الأسطورة نزوعا إلى تجاوز العلاقات والنسب وردود الأفعال العادية للحياة، أى أن لها منطقاً يختلف عن المنطق العادى، يعتمد على استمداد الخيال الطليق ولا يخضع للعقل وإن كان لا يجافيه ٠ الأسطورة إذن لا معقولة ولكنها ليست منافية للعقل ٠ نستطيع أن نقول إن هذا الملمح الأخير هو روح الشعر، ولذلك فإننا نستطيع أن نرى الشعر الحديث فى العالم كله قد دآب على الاستمداد من الأسطورة حتى أصبحت الأسطورة هى " مخزنه " الأثير ٠ يقول أحد النقاد " إن عقل مُوجد الأساطير هو الأنموذج الأعلى لعقل الشاعر !! " (٢٨)

** وقد عرفت الحضارة الإغريقية وآدابها القديمة الأساطير العديدة الزاخرة بعناصر الخيال والفكرة والمتعة ٠

** وأعمال فؤاد طمان الشعرية تعتمد الأسطورة وتستخدمها أفضل استخدام ٠٠ فهو لا يلصقها بقصيدته، ولا يستعرض بها معلوماته المعرفية كما يفعل بعض الشعراء ولكن الأسطورة فى شعره من نسيج القصيدة ٠٠ تعمق المعنى وتثرى الدلالات وتزيد المتعة وتطلق الخيال ٠

** ولا يعيد فؤاد طمان رواية أى أسطورة فى شعره، وإنما يستعمل شخوصها وعناصرها قناعاً لنفسه أو لشخوصه أو يستعملها تجسيداً ورمزاً لفكرة، أو مجازاً يصل به إلى التعبير الفنى ٠ وهو قد يذكر الشخصية الأسطورية باسمها، وقد لا يذكر اسمها إطلاقا وإنما يشير إلى جوهر الأسطورة أو فكرتها ٠ ويقول الشاعر الباحث / محمود عبد الصمد زكريا : " تعد الأسطورة أحد أهم منابع الإلهام للشاعر فؤاد طمان بل لمعظم الشعراء الكبار على مر العصور " (٢٩)

[١] أسطورة "برمثيوس" سارق النار :

** تقول الأسطورة الإغريقية القديمة إن "برمثيوس" سرق النار المقدسة (التى ترمز للمعرفة) من السماء أو من الآلهة وأعطاها للبشر فعاقبه سيد الآلهة " زيوس " بأن أمر بتقييده على جبل لينهش عقاب كاسر كبده مدى الحياة، إلى أن خلصه هيراكليس (هِرَقْل) أعظم الأبطال فى أساطير اليونان ٠

** هكذا لخص فؤاد طمان تلك الأسطورة عندما عرضها فى هوامش ديوانه " بكائية على البحر " (٣٠) والأسطورة فى أصلها وفى آداب العالم التى استخدمتها مليئة بالتفاصيل التى تستغرق مئات الصفحات لو شئنا حصرها ولكن تلخيص طمان لها يشير إلى جوهرها الذى من أجله استخدم هو الأسطورة ٠

** فإن شئنا أن نضيف بإيجاز إلى ما تقدم بعض عناصر الأسطورة تعميقاً لها وتفسيراً لاهتمام الشاعر بها واستخدامها فى قصائده نشير إلى ما ورد فى مراجع تلك الأسطورة من أن "برمثيوس" كان بوسعه لقوة ذهنه السباق – أن يتنبأ بما سوف يحدث وكان ممن تعتمد عليهم الآلهة فى المشورة والإنجاز ٠ وقد اقترح على " رب الأرباب " أن يمنح البشر النار المباركة لتعينهم فى حياتهم فيستدفئون بها ويصنعون بواسطتها

أدواتهم وينيرون حياتهم بنور المعرفة لكن رب الأرباب رفض الفكرة خشية أن يظن البشر بعد نيلهم نار الآلهة أنهم مساوون لتلك الآلهة ٠ فحزن "برمثيوس" وغادر جبل الأوليمب مقر الآلهة وانضم للبشر وسرق لهم النار وعلم البشر المعارف والمهن والصناعات ٠ عندئذ غضب عليه كبير الآلهة وأمر بشد وثاقه إلى صخرة ضخمة فى جبل القوقاز حيث يأتى نسر ضخم بالنهار ينهش جزءا من جسمه (كبده) وفى الليل ينمو هذا الجزء من جديد ليعود إليه النسر وينهشه ٠ وقد وعده كبير الآلهة بأن يعفو عنه ويطلق سراحه إذا عاد لطاعته لكن "برمثيوس" رفض التخلى عن ولائه للبشر ٠ ولأنه متنبئ فقد كان يؤمن بأن هناك من سيأتيه ذات يوم ويخلصه، إلى أن خلصه هيراكليس (هرقل) بعد أن أذن له رب الأرباب بذلك (٣١)

** ويقول الدكتور / لويس عوض فى عرضه للأسطورة أن "برموثيوس" معناها " الفكر المتقدم " ٠٠ وأنه بحسب الأسطورة خالق البشر " سَوَّى الإنسان من صلصال وجعله يسير منتصب القامة وقد رفع بصره إلى النجوم "، ثم زود الإنسان بالنار ٠ فقد صعد إلى السماء وأوقد مشعله من الشمس وهبط بالنار إلى الأرض، وأعطى الإنسان الشرارة الأولى، فاستطارت على مر الزمان نورا فى العقول ونورا فى الحياة، وكانت بها المعرفة والحضارة والفنون والصناعات ٠ وحين نشب الخلاف بين كبير الآلهة والبشر انضم "برومثيوس" إلى البشر فأمر كبير الألهة بحرمان البشر من النار فرفعت عنهم ولكن "برمثيوس" صعد الى الشمس مرة أخرى وعاد بالشعلة الى مخلوقاته ٠ فلما انتهى إلى علم كبير الآلهة أن "برومثيوس" سرق النار الإلهية وردها إلى البشر غير مبال بأوامره قيده إلى صخرة شاهقة بجبال القوقاز وجرد عليه نسرا ضاريا ينهش كبده كل نهار فإن جَنَّ الليل نبت له كبد جديد لينهشه النسر حين يأتى النهار (٣٢)

– وجدير بالذكر أن أعمالا أدبية عديدة وشهيرة استلهمت من هذه الأسطورة، ومنها مأساة " أسخيلس"، "برمثيوس فى الأغلال "، "برمثيوس طليقاً " للشاعر الانجليزى شيلى، مسرحية "برمثيوس" لجين لوران وفرديناد هارولد، "برمثيوس يتوب " لمسيسلاس جولد برج، "برمثيوس : شذرة " لهارتلى كولردج، و"برمثيوس : شذرة مسرحية " للشاعر الأديب الألمانى جوته،وقصيدة الشاعر الفرنسى إدجار كينين : نابليون، و"برمثيوس" مقيداً لأندريه جيد، وغيرها(٣٣) ٠

– وقد استخدم فؤاد طمان أسطورة "برمثيوس" فى شعره أكثر من مرة ٠

– فى قصيدته " لهما اللواء " التى كتبها فى ذكرى رحيل أمير الشعراء وشاعر النيل حافظ إبراهيم يصف الشعراء الذين جاءوا من بعدهما وحملوا لواءهما " بالسارقين النار "، فى إشارة إلى الأسطورة وتشبيهاً لهم "ببرومثيوس" فقد حملوا نور الشعر والقيم النبيلة إلى الأجيال الجديدة استكمالا لرسالة الشاعرين الكبيرين ٠ يقول طمان مخاطباً إياهما :

طِيبا فــؤادا لــم تــزل أعلاُمنــا
خفاقة ٠٠ تعلــو هنــا ٠٠ وتــرودُ
" السارقون النار " قد فتحوا المدى
هيهــات تعلــو للظــلام بنــود
منكــم تعلمنــا وطـاولنــا السُّهــا
لمـا شــدا فينا الغــد المنشــودُ
ورأى الــزمــانُ بلوحنــا أحزانــه
وبكــى بــه إنسـانُــهُ المــوءودُ
إنـا حَطَمنــا مثلكــم أغــلالَنــا
فى الشعرِ مــا غير الجمال قيــودُ !

** وفى قصيدته باق أمير الشعر، التى كتبها فى ذكرى " شوقى " يصف الشعب المصرى بأنه " سارق النار " الذى حمل النور – بحضارته الخالدة – إلى البشر، ويهيب به أن يغدق من نوره على وادى النيل وعلى الشرق العربى الذين غمرهما الظلامْ :

لم أُخْلِفِ الوعدَ واخترتُ النزوح ضحىً

مـن شرفــة فــى بـروج الفــن والأدبِ
إليك يــا شعب ٠٠ يــا من علم الفُصَحَا
واختــار للشعر أن يبقــى علــى الحقبِ
" يا سارق النار " أغدق مــن ضياك على
شــرق يئــن بليــل اليــأس والكُــرَبِ
عَــمَّ الظلامُ بوادى النــور ٠٠ لا قمــرٌ
ولا شموس ٠٠ ولا وَمْــضٌ مــن الشُّهُب
رد الشموس التــى فاضت علــى زمــن
بالنور ثم اختفت فــى غيهب السحــب
بــاق لديك " أميــرُ الشعــر " لا عجبٌ
ألا يموت ٠٠ ويأتى من سنا الحجــب !

** وفى قصيدته " بيت الصِّبا " : يقول الشاعر إنه انشغل عن هناءته الخاصة وذكرياته بسعيه الى المعرفة والإنجاز وتحقيق أحلامه وأنه لم يزر البيت الذى عاش صباه فيه منذ رحل عنه فى الصِّبا إلى أن فوجئ بمرور العمر :

آهِ كم عقد تولى منذ غادرت فراديسى ٠٠
وطاردت غزالات المنى فى اللانهاياتِ ٠٠
وأرخيت لمهر الحلم والعزم العنانْ ؟
تعب القلب ٠٠ وأضنتنى المسافاتُ ٠٠
فناديت ملاكى ٠٠
يا ملاكى : أزف الوقت ولم أظفر بصيدى ٠٠
والمدى محض سرابٍ ٠٠

صف لىّ الدرب لأبواب الجِنانْ ..

.....

لم أزر بيت الصبا منذ صبايا ..

مثل كل السارقين النار لم أَتْبَعْ هوايا !!

آه ما أقسى الزمانْ ..

مرت الخمسون عاماً كالثوانْ !

** وبينما كان استخدام الشاعر لأسطورة برمثيوس فى النماذج السابقة مقصورا على ذكر " سارق النار " فإنه فى قصيدته " نبيذ الآلهة " يحيل إلى جوهر الأسطورة دون ذكر اسمها ودون ذكر صفة " سارق النار" . يقول الشاعر على لسان الشعراء الحقيقيين والمفكرين الذين ينشرون النور ويقاومون الظلام ويحاربون الظلم ويحذرون العصاة والمفسدين من أمثال قوم ثمود من مغبة الفساد والطغيان، مضحين بحرياتهم وحياتهم من أجل نشر نور المعرفة والمثل العليا :

" قابلينى على جبل النورِ ..

أبعدَ .. أبعدَ من وكنات طيور الظلامِ

وأبعد من مدن الظالمينَ

ونادى : " ثمودُ " .. " ثمودُ "

زلازلنا قادماتٌ ! .....

.....

.....

نحن ندمان آلهة الشمسِ

يسرق أعمارَنا الجندُ والصابئونَ

وندفن أحبابنا فى الزنازين باكينَ ..

نصعد ٠٠ نهبط عبر الزمانِ
بأعناقنا المشرئبة نحو الأعالى حبالُ المَسَدْ !
سوف يأكل أكبادَنا النسرُ
لكن أعلامنا فوق أركان كوكبنا
ومشاعلَنا تشعلُ الظلماتِ ٠٠٠٠٠٠٠ الخ

** هكذا استخدم الشاعر الأسطورة بطريقة مختلفة ٠٠ محيلاً فى قصيدته لجوهر الأسطورة ٠٠ للذى يأتى بالنور للبشر ويقاوم الظلام حتى لو نهش النسر كبده مثلما نهش كبد بروميثيوس " سارق النار " وناشر المعرفة ٠

[٢] **أسطورة " سيزيف " Sisuphos :**

** فى إشارات مجموعته الشعرية " نبيذ الآلهة " لخص الشاعر فؤاد طمان أسطورة سيزيف بأنه : بطل الأسطورة اليونانية الذى حكمت عليه الآلهة بأن يظل للأبد يدفع صخرة من أسفل جبل إلى أعلاه وكلما بلغ القمة تدحرجت منه إلى أسفل ليصعد بها من جديد ٠ هذا هو جوهر الأسطورة عند الشاعر ولم يحتج من تفاصيلها إلا إلى هذه الدلالة ٠

** فإن شئنا أن نستكمل صورة " سيزيف" فى الأسطورة بإيجاز، نقول إنه كان شريفاً قانعاً بما لديه راضياً عن حالة وعندما سرق جاره الساحر ما شيته أثبت "سيزيف" أمام الملأ أن هذا الجار هو السارق ٠ وأخذ يغير أفكاره فاقتنع بأن الشر لا يواجه إلا بالشر وأن الجريمة لا تقابلها إلا جريمة مثلها ٠ وتسلل سيزيف إلى بيت خصمه حيث وجد ابنته الجميلة الحزينة الرافضة لأفعال والدها فأنجب منها دون رضاها " أودوسيوس " الذى صار رمزا للخداع والمكر وهو بطل " أوديسا " هوميروس وصاحب فكرة الحصان الخشبى فى حرب طروادة ٠ واستطاع " سيزيف " أن يؤسس مملكة واسعة الأرجاء قائمة على الظلم والنهب، وبسبب خداعه للآلهة والكبائر التى ارتكبها نقله الآلهة إلى العالم السفلى (عالم الأموات) مقيداً، وحكم عليه بالبقاء فى

عالم الأموات أبد الآبدين يحمل على كتفيه صخرة عظيمة ويتسلق بها الجانب الوعر لجبل شاهق الارتفاع حتى يصل لقمته ويضعها هناك ٠٠ وكان كلما صعد لأعلى الجبل والصخر ينهش كتفيه والنتوءات تثقب قدميه تسقط منه الصخرة فيعاود الصعود بها وعلم فى النهاية أن هذا هو العقاب الذى قدره زيوس رب الأرباب وأن عذابه أبدى لاخلاص منه (٣٤)

** استخدم الشاعر أسطورة " سيزيف " فى عدة قصائد منها : " نبيذ الآلهة " " وزرقة مبتلة بالنور" ٠ ولم يأخذ من الأسطورة إلا الدلالة التى عرضها فى إشاراته (سالفة الذكر) ٠ – فى قصيدته " نبيذ الآلهة " يقول على لسان الشعراء والمفكرين الملتزمين الذين يعلمون أن قدرهم يقتضى أن يحملوا الصخرة محاولين الصعود بها لقمة الجبل دون جدوى، ولكنهم صامدون ومستمرون فى محاولتهم المستميتة، من أجل أن تظل أعلامهم فى السماء ومشاعلهم تشق الظلمات :

" نحن ندمان آلهة الشمسِ
يسرق أعمارنا الجند والصابئونَ
وندفن أحبابنا فى الزنازين باكينَ
نحمل صخرة " سيزيفَ "
نصعد ٠٠ نهبط عبر الزمانِ ٠٠
بأعناقنا المشرئبة نحو الأعالى حبال المَسَدْ !
٠٠٠٠٠
لكن أعلامنا فوق أركان كوكبنا
ومشاعلنا تشعل الظلماتِ ٠٠
انحنوا أيها العابرون إلى الموتِ
للشعراءِ المغاويرِ ٠٠ للخالدينَ المساكينِ ! ٠٠٠٠٠ الخ "

– وفى قصيدته " زرقة مبتلة بالنور " : يتمثل الشاعر محكمة " زيوس " رب الأرباب وهى تصدر حكمها القاسى على " سيزيف " فيقول :

" ليس غير نداء من الغيبِ :
سيزيفُ ٠٠ سيزيفُ ما من مفرٍّ
ستحمل حتى النهاية صخرتك الأبديَّةَ !"

ولكن الشاعر لا يستسلم لهذا العذاب، ولا يتحمله بوصفه قدره الأبدىّ بل يظل كما هو – رغم رحلة العذاب – على رغبته فى مقاومة خصومه الذين ملأوا الدنيا ظلاما :

" قلت لكننى سأهيل صخورىَ
فوق زواحف تلك السفوحِ
وأَبْعَثُ فى الظلماتِ،
شموس الضحى الساطعةْ ! "

لم يتقيد الشاعر إذن بالمعانى الحرفية للأسطورة ولكنه أخذ منها قناع " سيزيف " وواقعة حمله الصخرة إلى الأبد ثم استكمل القصة من عنده ووظف دلالتها لخدمة هدف آخر لم يستهدفه سيزيف الأصلى ولا علاقة له بأحداث الأسطورة ٠

[٣] ميثولوجيا البحر وأساطير الحور :

– يقول الناقد الشاعر الدكتور سعد دعبيس : " يوظف الشاعر (طمان) رموزا ترتبط بميثولوجيا البحر على النحو الذى نراه فى قصيدته " الحورية " التى تقوم فى بنائها الفنى على استيحاء أسطورة حورية البحر التى تذكرنا أيضاً بآلهة البحر كالإله " بوسيدن Posidon " إله البحر فى الميثولوجيا الإغريقية أو حوريات البحر فى تراثنا الشرقى فى ألف ليلة وليلة (٣٥)

** فى قصيدته الحورية يقول الشاعر :

حورية طلعـــت مـــن البحـــرِ

فتانــة ٠٠ مجلــوة السحــرِ
رمت الفؤاد بسهمها ٠٠ وجرت
نشوى علــى الأمــواج والصخرِ
قبلتهــا ألفــا ٠٠ فِهــل عَلِمَتْ
أَنِّى بــدأت بحبهــا عمــرى ؟

**

سبحــت تــراود ألقــه البــدرِ
وغفت كطير الماء فــى صــدرى
صاحبتها زمنــا ٠٠ وقلــت لهــا
إنــى وهبتــك زهــرة العمــرِ
ضحكت ٠٠ وفرت من يدى وأنا
مــا زلت خلف ظلالهــا أجــرى
تركــت على الأغصــان مئزرَها
وتسللــت كــالحلم للبحــــر
تأتى ٠٠ ولا تأتى ! وتبعث لــــى
باقاتهــا فــى المــد والجَــزْرِ
سأظــل طــول العمر أتبعهــا
فتلوح ٠٠ ثــم تــروح بالســر !

** إن الشاعر هنا يستلهم صورة حورية البحر ٠٠ التى لابد أن تكون فاتنة تغرى من يشاهدها باتباعها ٠٠ مراوغة تتمكن فى النهاية من أسر المفتون بها ٠٠ وهى وإن كانت تفتنه عامدة وتفعل ما فى وسعها للاستيلاء على قلبه إلا أنها لا

تعطيه ما يطلب، بل تمنيه وتمنيه حتى تناله ٠ وتلك هى بالضبط صفات الحورية التى ظهرت للشاعر وحكى لنا حكايتها ٠٠

** ويدرك المتلقى أبعاد الأسطورة فى القصيدة ومدى استفادة الشاعر من تفاصيلها كلما كان مطلعا على أسفار وكتب الأساطير فى مصادرها المتخصصة ٠ فعلى سبيل المثال أشارت القصيدة إلى أن الحورية تركت على الأغصان مئزرها ثم تسللت للبحر ٠ وهى إشارة لها مغزاها فى الأساطير ٠٠ ذلك أنك – بحسب الأسطورة – إن نجحت فى الاحتفاظ بأى قطعة من ملابس الحورية ضمنت ألا تتركك بل أنها تظل أسيرتك ولا تستطيع أن تعود لعالمها (٣٦) ٠٠ وفى القصيدة يستخدم الشاعر هذه الإشارة ببراعة للإيحاء بأنه برغم مراوغة الحورية وعدم الاستسلام لحبيبها فانها قد تركت بمحض إرادتها إزارها على أشجار الشاطئ بما يعنى أنها فى النهاية باقية معه، خاصة أنها عندما تغيب ترسل له باقات الزهر ٠٠ ومن المستحيل أن يدرك المتلقى هذا المعنى بهذا القطع إلا لو كان قارئاً لأساطير البحر مستوعباً لرموزها ودلالاتها وإشاراتها ٠

[٤] أسطورة " فينوس " :

– ترد أسطورة " فينوس " فى كتب الأساطير الإغريقية وآداب الإغريق القدامى على أساس أن " زيوس " كبير الألهة الذى انتصر على أعدائه وكون جيلا من الآلهة وجعل من قمة جبال الأوليمب مجمع الآلهة ومقرا له ولمعاونيه، قرر أن يزف للدنيا حورية لتكون ربة الحسن والجمال ٠٠

– ففوق قمة جبل الأولمبوس (الأوليمب) جلس زيوس ودعا الآلهة ليشهدوا مولد أروع المخلوقات وأكثرها جمالا وفتنة ٠ وسُمِعَ صوتُ " زيوس " يشق الكون الفسيح : يا عرائس البحر كَبِّرى وأنتِ تستقبلين حورية السماء، ربة الأنس والبهاء، درة البحور وهالة النور، واحة العاشقين، إلهة الصبا والجمال ٠٠ كطيف نورانى تخرج من الزبد الأبيض لؤلؤة كالكوكب الدرى، تخرج طفلة تتهادى على الأمواج ٠٠٠ وافْتَرَّ فم الدنيا عن ابتسامة تنم عن السعادة التى غمرت كل المخلوقات، تلك التى هرعت تستقبل ربة

الجمال التى ستملأ القلوب سعادة وحُبّا ٠٠٠٠٠٠٠٠ ثم أخذت إلهة البحار تهدهد تلك الطفلة النورانية وتلقنها كلمات الحب وتنشئها على مشارب الصبابة والغرام حتى أينعت وترعرعت وأزف أوانها لتأخذ مكانها بين آلهة الأولمب ٠٠٠٠ وعرج مركبها إلى قمة " الأولمب " فى " مجمع الآلهة " حيث أعد عرش الجمال لاستقبال ربة الجمال والحب ٠٠٠٠٠٠ أخذ آلهة الأولمب يتقربون منها ويخطبون ودها إلا أن فينوس قامت عن عرشها وسارت بينهم فى دلال وخيلاء والتفتت إليهم قائلة : ليس منكم من هو جدير بحبى ويأسر قلبى ٠٠٠ فغضبوا عليها وغضب أبوها نفسه زيوس (رب الأرباب) وعاقبها بأن اختار لها من لا تحب ٠٠ ولكنها لم تأبه لحكم رب الأرباب، وعندما حُذِّرت قالت : إن قلوب العذارى لا سلطان عليها إلا الحب وحده ٠ لقد ولدت لأكون ربه الجمال والحب فأولى بى أن أَسْعَدَ بالحب وأختار ذوى البهاء ليؤنسوا وحدتى وننهل معاً من بستان الغرام ٠٠ واختارت فينوس " مارس " الذى تمنت أن يزوجها أبوها زيوس منه وهو الممشوق القوام الجميل الخلقةَ، وأرسلت إليه والتقت به فى الخفاء حيث طارحها الغرام ٠

تلاقى العاشقان وأخذتهما النشوة إلى مسالك الهوى ودروب الجنان ٠٠ تعددت لقاءاتهما إلى أن كشف سرهما " أبولو" فقرر أن يعلنه وينتقم منها ويطلع الأرباب على فضحيتها فهى التى تكبرت عليه فى مجمع الآلهة ٠ ونجح فى ذلك ٠٠٠٠ لم تعد فينوس بعد ذلك تخشى عيون الحاسدين وراحت تمنح جسدها لمن تحب وتهوى ٠٠٠ (٣٧)

– تلك هى أسطورة فينوس الشهيرة ٠ ولكن " فينوس " موضوع قصيدة الشاعر فؤاد طمان شئ آخر ٠ لا يمكن أن تكون أسطورة فينوس الإغريقية بعيدة عن عالم شاعرنا ٠٠ فهو بالقطع قرأها وعاش فيها بحكم ثقافته الواسعة واهتمامه بتراث الإنسانية بما فيه أساطير الإغريق ٠٠ وهو ما يشى به شعره، ولكن " فينوس " الشاعر فؤاد طمان هى أسطورة أخرى مختلفة من صنعه هو ! فهو فى قصيدته لم يعد سرد الأسطورة القديمة ٠٠ بل لم يُحل إليها فى ذاتها ٠٠ لم يُحل إلى فينوس ربة الجمال عند الإغريق ٠٠ إنه يتحدث عن امرأة من البشر الفانين بميولها ومشاعرها وضعفها الإنسانى ٠٠ امرأة تخرج على التقاليد التى يؤمن بها الراوى ولكنها تحبه

الحب الحقيقى وتعتقد أنها بريئة مما صورها عليه وأنه ظلمها ظلما قاتلا حينما وصفها بأنها " امرأة شائعة " لمجرد أنها حَيَّت أصدقاءها أمامه أو عانقتهم او لهت معهم لهوا بريئاً تسمح به تقاليدها هى أو فهمها المختلف او تقاليد قومها هى ٠٠ القصيدة كما قلنا تنطوى على أسطورة أخرى صنعها الشاعر تختلف عن أسطورة الإغريق ولكن الأسطورة القديمة تطل من ثنايا القصيدة على نحو ضبابى مراوغ بدليل أننا فور أن نقرأ القصيدة نتذكر بلا سبب دقيق فينوس الأولى ربة الجمال والحب عند اليونانيين ٠

– وهنا تكمن عبقرية القصيدة او عبقرية الشاعر الذى قصد الاستفادة من الأسطورة القديمة بما فيها من خيال وسحر وهو يتحدث عن تجربة أخرى فى الحياة لعاشقين مختلفين ٠٠ فليسا هما فينوس الربة وعشقيها " مارس " ٠٠ إنهما فينوس : المرأة التى ألهمت الشاعر، وحبيبها : الراوى فى القصيدة ٠ وقد تكون هذه الملهمة امرأة حقيقية واسمها الحقيقى فينوس مصادفة، وقد يكون الراوى هو الشاعر نفسه، وقد يكون من صنع الشاعر الذى أراد الحديث عن التجربة ٠ وقد تكون امرأة من الخيال وحبيبها الراوى كذلك ٠

– ولكننا فى كل الحالات أمام أسطورة جديدة من صنع الراوى نفسه ٠ يقول الشاعر فى المقطع الأول إنه أثناء عودته ليلا قابل النساء الجميلات اللواتى اختطفنه وقدنه إلى عش الحب وسقينه من شرابهن وطارحنه الغرام، وعندما صحا من النوم فى الظهيرة اكتشف أنهن انصرفن فى الفجر إلا " فينوس " التى وجدها بجواره ٠ وهو تصوير أسطورى يذكر بروح الأسطورة القديمة وأساطير البحر الإغريقية حيث تختطف الجنيات أو حور البحر أو آلهة البحر إنسانا ما ويحتجزونه فى جزرهن السرية أو فى ممالكهن الكائنة تحت الماء إما لان هذا الانسان فتنهن او لأنهن قررن الانتقام منه لسبب ما ٠٠

– ثم يستطرد الشاعر فى ذات المقطع فيقول إن تلك المرأة (فينوس) أتته بالشاى والفل، وغفت فى فراشة، ثم مضت به إلى البحر فى الأصيل فسبحا معاً وطارحته الغرام على الشاطئ وسقته العنب ٠ وهو تصوير أسطورى يذكرنا بأسطورة فينوس

التى أحبت مارس واختارته دون بقية أرباب الأولمب وأرسلت له فى الخفاء وطارحته الحب فى الغابات بعيداً عن أعين الحاسدين ..

– ويستطرد الشاعر فيقول على لسان الراوى إن تلك المرأة تركته بعد ذلك على الشاطئ عندما قابلت أصدقاءها فقبلتهم ورقصت مع أجملهم ثم دعت الراوى للسباحة فى البحر وكأنها لم تفعل شيئاً فلم يستجب لها وهو ما دعاه فى النهاية إلى هجرها بل وإهانتها :

" وبكت عندما قلتُ

– وهى على بابها تتشبث بى –

لن أقيم مع امرأة شائعة ! "

– وفى الجزء الأخير من القصيدة يتجلى منهج الشاعر الأسطورى، ويبين بجلاء أنه صنع أسطورته الخاصة التى لا علاقة لها بالأسطورة الإغريقية إلا المناخ الذى يذكر بها وبجو الأساطير بصفة عامة فيقول إنه قابل ذات النساء الجميلات صدفة وعاتبنه على إهانة صديقتهن (فينوس) التى أحبته والتى يئست منه بعد أن أهانها والتى تؤمن بالهوى وتنتظر مثله الملك الواهب الحب للمتعبين، وصعد مع صديقاتها إلى بيتها ليعتذر لها وليقضوا الليل معها ثم ينتهى إلى النهاية الأسطورية التالية :

سهرنا ..
وغادرن فى الفجر ..
إلا الفتاة التى أيقظتنى عند الظهيرة
– رافضة أن أقبلها –
ودعتنى إلى " الشاى "
كانت تحدق فى صفحة البحر
تحكى عن امرأة من أساطير جدتها :

((أَسْلَمَتْ قلبها للغريبِ ·· ونامت كعصفورةٍ وادعَةْ ··
عندما غرز النصلَ فيه، اختفى وَهَجُ الشمسِ ··
وانفجر الوردُ من يومها باكيًا ··
واستحالت مع الليل تمثالَ مَرمَرْ !
قاتلُ الحُبِّ يبكى مدى العمر بين يديهِ ··
وآلهةُ الريح تهدم جَنَّتَهُ،
وتظلُّ حواليه تعوى وتَصْفِرْ !"
·····
صَبَّت الشايَ ··
عادت تحدّق فى صفحة البحرِ ··
كنتُ أحدِّثُها وهى صامتةٌ ··
والغيوم على الشمس تحجب ألوانها الناصعَةْ !
والكنارىُّ فى المدخل الرَّطْبِ أخضرُ ·· أخضرُ ··
يشدو وراء السياج الذى يخنق الأغنيات الجميلةَ ··
والبحر خلف النوافذ أزرقُ ·· أزرقُ ··
لكنه خامدٌ ··
أين فينوسُ ؟ ·· كيف اختفتْ ؟
عُدْتُ للمخدع الفوضوىِّ ·· وفتشت فى البيتِ ··
ألقيت حتى المدى نظرةً ·· لم أجدْها !
وجيرانها أنكروا أن سيدة باسمها تسكن الدارَ !
حَلَّ المساءُ ··

وهبّت علىّ من البحرِ ريحُ الشمالِ ..
تحاصرنى بالعويل .. وتدفعنى للجدارِ ..
فودعت عِند الحديقةِ – مرتجفَ القلبِ –
تمثالَها المرمرىَّ .. وأزهارَها الدامعةْ !

[٥] أسطورة " كيوبيد " :

** فى قصيدة " الصغيران " أشار الشاعر فؤاد طمان إلى تلك الأسطورة بسطر شعرى واحد . ولكن هذه الإشارة شاركت فى بناء القصيدة فنيا وأثرتها بالدلالة .

** يحكى الشاعر فى القصيدة قصة صغيرين تحابا منذ الطفولة .. ثم أخذتهما دوامةُ العشق على امتداد رحلة الحياة حتى فوجئا بالمشيب :

(١)

كان عمرٌ من الحُب يجمع قلبَيْهما،
منذ كانا صغيرينِ ..
كانت هنا وهى بَعْدُ صَبِيَّةْ ..
تتملاه من شرفة البيتِ
وهو ينام بغرفته فى السرير الوسيعِ،
ويصحو على الطلعة القَمَرِيَّةْ ..
تتملاه وهو على المكتب المنزوى
يكتب الشِّعر .. أو يشرب الشايَ
أو يتصفح كُرَّاسةَ " الفصلِ " ..
فى كل يوم يبادلها قُبَلا فى الهواءِ

ويلقى لها وردةً أو قصيدته الغزليَّةْ ..

(٢)

ذاق ماءَ " كيوبيدَ " مندهشا ..

عَبَرا – فى ضباب الهوى – نَهَرَ المستحيلْ ..

.....

ترحل الشمسُ خلف المدى،

وتعود لدورتها فى الزمان الجميلْ

.....

ها هما قد أفاقا

على وقع خطو المشيبِ ..

وفاجأ خِدْرَ الطفولةِ

عَصْفُ رياح الفصولْ !

** عندما يقول الشاعر إن الصغير (أو الفتى) ذاق ماء " كيوبيد "، فان المعنى سوف يصل إلى المتلقى حتى إذا لم يكن قد قرأ الأسطورة الإغريقية ،سيدرك أن الشاعر يريد أن يقول إن هذا الصغير قد وقع فى الحب . ولكن المطلع على الأسطورة سيعرف أن الشاعر قد استخدم بالتحديد رمزا دالا من رموزها . فكيوبيد هو ابن " فينوس " ربة الجمال وعندما وقع فى حب ابنة أحد الملوك تحول من الشر إلى الخير، وأصبح عاشقاً عطوفا حنونا يسخر كل قدراته السحرية ليسعد حبيبته ويغمرها برعايته وحمايته،إلى أن تزوجها وأنجب منها طفلتهما التى سَمَّيَاها " المتعة " ! . و" كيوبيد " هذا كان يغترف من نافورتين فى حديقة قصر فينوس، يأخذ من إحداهما الماء العذب المعطر الذى يبعث على البهجة والسعادة، ويأخذ من النافورة الأخرى الماء " المُرّ " . وفى الأسطورة أنه ملأ وعاءين مصنوعين من الكهرمان من ماء النافورتين أحدهما عذب والأخر مُرّ (٣٨) . وعلى هذا ما كان للشاعر أن يشير لماء

كيوبيد الذى ذاقه الصغير بطل قصيدته إلا إذا كان قد استوحى ذلك من الأسطورة، ولا يمكن للمتلقى أن يدرك كنه ماء " كيوبيد " بالضبط إلا إذا كان قد قرأ الأسطورة، فهى كانت إذن واحدة من منابع إلهام الشاعر أفاد منها على النحو المتقدم ٠

** بل إن اختيار الشاعر لكيوبيد بالذات، مقصود بالقطع، لأنه الأكثر مناسبة للقصيدة ٠ فقد كان بوسع الشاعر أن يختار فينوس أو " أبولو " مثلا بدلاً من كيوبيد ٠ ففينوس هى ربة الجمال والحب وأبوللو هو إله الحب والفن فى أساطير الإغريق وهو الذى يقسم الحظوظ بين البشر وهو رب الموسيقى والغناء ولكن فينوس تحب وتكره وتغار وتنتقم فى الأسطورة الأغريقية وفيما تبحث عن المتعة الحسية ولا تحترم مشيئة الآلهة ولا حتى مشاعر الآخرين٠ ولكن عبادة أبولو – كما يقول الشاعر صلاح عبد الصبور تقدس العقل وتحترم الإحكام وتحيى طقوسها بالتأمل ٠ أبولو هو إله السلام النفسى والسكينة الروحية يوحى بالمنطق والتأمل(٣٩) ٠ أما " كيوبيد " فهو أقل قدرا، فهو مجرد ابن لفينوس ربة الجمال، وقد كان أميل للشر قبل أن يقع فى حب الجميلة التى أسرته بفتنتها، ولكن " كيوبيد " هو الأكثر ملاءمة لجوهر القصيدة بالفعل، لأن الشاعر ركز فيها على ولع الصغيرين ببعضهما والمتعة التى حصلا عليها بسبب الحب الحقيقى النبيل، وغابا بسببها عن تتبع الزمن إلى أن فوجئا بالمشيب٠ هذه المتعة الناجمة عن العشق الحقيقى الصادق هى التى تميز كيوبيد عن فينوس وأبوللو وآلهة الحب الأخرى فى الأساطير اليونانية ٠ بدليل أن الطفلة التى أنجبها كيوبيد من حبيبته سَمَّيَاها " المتعة " ٠ كذلك فإن أبولو قد خُصَّ فى الأسطورة بالشباب الدائم الذى لا يزول ٠٠ بينما تدل نهاية القصيدة على زوال الشباب، حيث فاجأ المشيب الصغيرين اللذين لا يملك كيوبيد أن يمنحهما شبابا دائماً لأن فاقد الشئ لا يعطيه ٠ لذلك يبدو تمثل كيوبيد فى القصيدة هو الأنسب ٠ وليست هذه الإشارات الواردة فى القصيدة مجرد صدف، ولكنها مستوحاة قطعا من الأساطير التى قرأها الشاعر بعناية وأجاد الاستفادة منها ٠

[٦] أسطورة " آلهة الخمر " :

** فى قصيدته " لوحات الشتاء الدامى " يقول فؤاد طمان فى اللوحة الأولى :

تهبط الأرضَ آلهةُ الخمرِ،
ممسكةً بالسياطِ،
فتجلد من تلتقيه، وترجع ضاحكةً ٠٠٠ الخ

** تُرى من هى آلهة الخمر المعنية ؟ ٠٠ وفى أى أسطورة التقى بها الشاعر وصورها لنا ؟ إن هذه الآلهة فيما يبدو من صنُع الشاعر نفسه وإن كان قد استلهمها من نسيج الأساطير، والأساطير الإغريقية بالذات ٠ ولكنها فى النهاية أسطورته الخاصة صنعها لنا على عينه ٠ إن آلهة الخمر هذه لا تمت بصلة منطقية لإله الخمر عند الإغريق " ديونيزيوس " ٠ فهو إله النبيذ والمتعة ورمز امتلاك الحياة بالفرح ٠٠ إله يلهم الرقص والألحان والغناء (٤٠) ٠

** وهذا الإله ليس بالقطع واحدا من آلهة الخمر التى يتحدث عنها فؤاد طمان فى قصيدته ٠ إنها آلهة من نوع آخر مختلف، فهى من آلهة الشر و الغلظة والعبث، تهبط الأرض ممسكة بسياطها لتهوى بها بلا سبب على من تلتقيه ثم تعود من حيث أتت ضاحكة لاهية ٠ إنها آلهة شريرة من خلق الشاعر وحده يستكمل بها لوحاته عن هذا الشتاء الدامى الذى تعيشه البشرية المعذبة فى عصرنا الحالى الوحشى، الذى تتجاور فيه مع صورة تلك الآلهة الآثمة صورة المرأة المسكينة التى تقف عند المشنقة فى أغلالها شاحبة مذعورة تنتظر الموت ٠٠ وصورة الجثث الملطخة بالدماء التى تملأ فجأة صفحة البحر، وصورة الفتى الذى يزور أحبابه الموتى فى الليل فيتعثر بين الشواهد حين تفاجئه صرخة تنبعث من القبور، وصور الدم والنار التى نراها على شاشة " التلفزيون " فى كل بيت كل يوم إلى آخر ما ورد فى القصيدة (٤١) ٠

** ولكن الذى لا شك فيه أن جو الأساطير القديمة والإغريقية بالذات هو الذى أوحى للشاعر بأسطورته الخاصة ٠ فتلك الأساطير القديمة هى مصدر إبداع الشاعر هنا على نحو أوآخر ٠

[٧] أسطورة " هِرَقْل " :

أشار الشاعر فؤاد طمان لهذه الأسطورة فى قصيدته " آخر المتدارك " التى يقول فيها :

لستُ كفئًا لتلك الجبالِ
التى سينوء بها كاهِلِى ٠٠
فارحمى ضعفىَ الآن ياربَّةَ الريحِ ٠٠
أو فامنحينى ذراعَىْ " هِرَقْلَ "،
كما جُدْتِ لى بنبوءات هذى الفصول الجديدَةْ !(٤٢)

** استغل الشاعر أسطورة هرقل فى قصيدته أفضل استخدام ٠ فهرقل هو رمز القوة الخارقة فى أساطير اليونان، وهو أقوى وأعظم الأبطال عند الإغريق ٠ وتقول الأسطورة إنه ابن " زيوس " كبير الآلهة، وقد ظهرت عليه علامات القوة والشجاعة منذ نعومة أظفاره، وعُرِفَ بقوة ذراعيه الذين قتل بهما وحشين وهو صغير، بأن ضغط بهما على عنقيهما بشدة حتى ماتا، مما دعا مُنَجِّم المدينة الأعمى للتنبؤ بأنه سيكون بطل البشرية ٠ وفى الأسطورة أنه تعلم المصارعة من صغره وقتل بمفرده أسدا كان يعيش فى الغابة، وأنجز مهاما جساما فوق طاقة البشر زخرت بها الأسطورة بفضل قوته البدنية المذهلة وجرأته الفائقة (٤٣)

المبحث الثانى
الأساطير الفرعونية والبابلية والآشورية والفينيقية

[١] أسطورة إيزيس وأوزوريس :

** كان المصرى القديم أول من ابتدع الأسطورة بحكم تكوينه الحضارى السابق لجميع الحضارات المتقدمة المعروفة قبل ستة آلاف عام، وكانت الأساطير المصرية

القديمة منهلا لكثير من الحضارات الأخرى (٤٤) وبصفة خاصة أساطير البعث بعد الموت والأساطير التى تدور فى العالم السفلى (الموتى) وفى السماء ٠ ومن أشهر هذه الأساطير وامتلائها بقيم الحق والخير والوفاء أسطورة إيزيس الخالدة ٠٠ إيزيس ربة الخصب والخير التى قتل زوجها / أوزوريس وفرق جثمانه وتوزع على أنحاء مصر فراحت تجمع أشلاءه حتى اكتملت وبكت بدموعها فبعثته للحياة من جديد ٠

** استخدم الشاعر فؤاد طمان أسطورة إيزيس فى شعره أكثر من مرة ٠٠ وتعددت أوجه استخدامه لها ٠

** فى قصيدته إيزيس (٤٥) يمزج بين الأسطورة والتاريخ والواقع المصرى المعاصر فى عصر زال فيه المجد أو يكاد، وتوحش فيه الأعداء، وهيمن الموت والهزيمة على الوطن وانحسرت الحضارة وثقافة التقدم فيه، كان طبيعياً أن يتذكر الشاعر إيزيس ربه الخصب والبعث ويشكو لها الحال ويطالبها بتكرار معجزتها ٠٠ معجزة البعث ٠

يقول الشاعر :

أيــا ربَّـةَ البعث أيـــن الهزيمُ
وأين البروق ٠٠ وأين المطرْ ؟
لماذا تغيبين عصــرا ٠٠ فعصرا
إلـى أن يَظُنُّوكِ حُلْما عَبَــرْ
وكيف يصدِّقنى العابـرونَ
وأطلالُ أمجادنا تندثـــر
فلا حائطٌ من بقايا القلاعِ
ولا لوحـة من وميض السُّورَ
ولا مزقـةٌ مـــن لـواء الخلودِ

ولا قطرةٌ من دمـاء التتر !

** وفى قصيدته " ليلة الوداع " (٤٦) ينحو الشاعر منحى آخر فى تناوله للأسطورة، فبينما اقتصر فى القصيدة السابقة على جعل إيزيس عنواناً لها وعلى سؤالها عن سبب غيابها فى وقت مست الحاجة فيه لسطوعها ؛ يتناول فى القصيدة الثانية جوهر الأسطورة والفعل الأساسى فيها وهو جمع الأشلاء والعمل على تحقيق البعث متخلياً فى الوقت نفسه عن تفاصيل القصة القديمة ٠ فبضمير المتكلم يتقمص الشاعر شخصية إيزيس فيمضى مثلها فى الخفاء يجمع الأشلاء تمهيداً للبعث ٠٠ ولكنها ليست أشلاء أوزوريس بحسب الأسطورة إنها أشلاء المليكة القتيلة (مصر) وهو لا يبعثها بذرف الدموع وإنما بتحريض أبنائها البواسل على إنقاذها ٠

أخْرجُ الآنَ من " مَنْفَ " تحت جناحِ الظلامِ ٠٠
ولكننـــى عـــائـــدٌ ذات يـــومٍ مـــع الريـــحِ،
حـتـــــى أقـيـــــمَ شـــرائـعـــهـــــا ٠٠
وأعيـــدَ لنهـــرِ الثكالـــى ودائعَـــهُ وحقولَهْ !

***

أذْرَعُ الـنـيـــــلَ والضفـــتـــيـــــنِ،
لأجمعَ أشلاءَ سيدةِ الرِّعـــدِ سِـــراً ٠٠
يَهبُّ نسيمُ الشمالِ برائحةِ الياسميـنِ ٠٠
ويظهـــرُ لـــى طيـــفُ محبـوبـتـــى
فـــى الحـقـــولِ الظَّـلِـيـلَـــةْ ٠٠

** ثم تتعدد المشاهد واللوحات فى خطاب الشاعر لمحبوبته تلك التى ظهر طيفها له، حتى يعود فى ختام القصيدة للحديث عن رسالته التى كانت هى رسالة إيزيس ٠٠ ألا وهى البعث :

إنمـــا أجمـــعُ الـــورقَ المتنـــاثـــرَ
فـــــى شـــاطـــــــئِ الـبَـــــدْءِ ٠٠
أجمـــع مـــــا أبقـــت الـريـــحُ
عنـــد جـــــــذوع الخميـلَـــــةْ ٠٠
أذرعُ النـــهـــــرَ والضفـتـيـــــــنِ،
لأجمعَ أشـــــلاءَ سيـــــدة الرَّعْـــدِ ٠٠
أجـــلـــــــو لهـــــا سيـفَـــهـــــا ٠٠
وأعِدُّ الجوادَ الجموحَ لرحلتها الأبديَّةِ ٠٠
يَتْبَعُنـــى جندُهـــا الـواثـقـــــونَ ٠٠
ونمضى إذا الليل أرخـى ســـدولَـــهْ ٠٠

** وفى قصيدة ثالثة تظهر إيزيس تذكيراً بالحنين إلى البعث وسعياً له ٠ يحاور الشاعر فتاته فى قصيدته " العودة من مملكة الماء " (٤٧) فيدعوها للعودة من مملكة الماء والأغنيات (أوجنة الحلم) إلى الواقع ٠٠ إلى مدينتها حيث استبداد المماليك والفساد والتخلف والصحف الخائنة ٠٠٠٠ الخ ٠ فتدعوه هى للبقاء حيثما هما فى ذلك الشاطئ البعيد الذى يمتلئ بالجمال ويهيمن عليه الحلم ويشى بالبعث :

نترك البحر – مؤتزرين بثوب القتال غدًا ٠٠
ونيمم شطر مدينتنا من جديدٍ ٠٠
فقومى، وصلى بمملكة الماء والأغنيات الصلاة الأخيرةَ،
قبل رحيل السفينْ ٠٠

ودّعى الماء ٠٠ واستودعى الرملَ
راياتنا الخالداتِ وسِفْرَ الوعودِ
وِرُقْيَةَ هذا الأمانِ الدفئِ ٠٠
اغرزى فى وشاحك تعويذةً ٠٠
خبّئى فى فؤادك أمنيَّةً
وأغاريد من زمن العشق
نشدو بها فى الزمانِ الضنينْ ٠٠
أمسكت بى وقالت : لنبق ! هنا يشرق العشق والشعرُ
تبعث إيزيس من زبد البحرِ ٠٠ نرسم بالأغنياتِ
خرائط أحلامِنا (المستحيلة) ٠٠ تهمى اللحونْ

[٢] أسطورة مراكب الشمس (الفرعونية)

** مراكب الشمس فى الأساطير الفرعونية هى التى تنقل الأرواح إلى السماء ٠٠ وفى أكثر من موضع فى شعره يشير فؤاد طمان إلى تلك المراكب الأسطورية٠

** فى قصيدته " لوحات من مدن الحب والهزيمة " (٤٨) يقول فى اللوحة الثانية وهو يقر بالهزيمة ويبحث عن الأمل فى هذا الظلام البهيم :

" ويقتلنى الجوعُ ليلةَ عيد الوفاءِ، برغم التميمة والكاهناتْ ٠٠
ليَرْعَكِ " آمونُ "، إن موائدَ مجدكِ لم يبق منها الفُتات !
سَقَطْتُ ٠٠٠٠٠
خذينى إذن يا مراكب شمس الفراعينِ
عَبْرَ بحار البداية واللانهايةِ ٠٠
كل الموانى التى قد نصادف سوف تضمّد جرحى،

وتأتى إلىّ بباقات زهرٍ،
ويفتح لى جندها المدن الذهبيةَ،
حيث الشموسُ التى لا تزال تطل من الشرفاتِ،
وحيث تركت كنوزىَ، والخيلُ تركض فوقى،
لأهرب نحو التلال البعيدة، هشّ الفؤادِ ..
أشوِّهُ وشمىَ خلف الطلولِ،
وأسْلِمُ نفسِىَ للساحراتْ !

** وفى اللوحة الرابعة من ذات القصيدة يقول وقد تملكه اليأس وتبدد حلم البعث إزاء فداحة الهزيمة :

رمادٌ هى الآن مركبةُ الشمسِ !!
مظلمة طرقات المدينةْ ..
عويل الرياح يقضى مضاجعَها،
وهزيم الرعودِ التى حَمَلَتْها خيولُ الضغينةْ !

[٣] أساطير بابلية وآشورية وفينيقية :

** فى اللوحة الخامسة من قصيدته : " لوحات من مدن الحب والهزيمة " سالفة البيان التى تتناول هزيمة ١٩٦٧ الأليمة يستخدم الشاعر فى لمحات خاطفة أسطورة " عشتار " إلهة الحب والخصب والحرب والبعث فى بلاد ما بين النهرين (آشور وبابل)، وهى المرادفة للإلهة المصرية إيزيس، " وعشتروت " إلهة الحب والخصب والجمال عند الفينيقيين التى أعادت الحياة إلى " أدونيس " بعد أن قتله خنزير برى(٤٩) كما يشير إلى الأسطورة الفينيقية الخاصة بطائر الفينيق " الذى يبعث من جديد بعد موته من رماده المحترق :

" هنا يولد الموتُ
ينمو الغدُ الطفل فى منحنى الاحتضارْ ..
فلن يوصد البابَ فى وجه ريح النهاية كهّانُ " آمونَ " ..
لن توصد البابَ " عشتارُ " ..
لن يُبْعَثَ الطائر (المرتمى فوق شاطئ فينيقيا غارقاً فى الرماد)..
ولن يخرج الأنبياءُ من الغارِ ..
إلا وكل المدينة جمرٌ .. ونارْ ! "

** وفى قصيدته " مرثيّة لامرأة عربية "(٥٠) التى رثى فيها الوحدة العربية بين مصر وسورية عقب الانفصال بينهما سنة ١٩٦١ يشير " لعشتار " باعتبارها ربة الخصب و البعث :

وتنبثق العيونُ ..
فليس يظمأ بعدها الشهداءُ .. تنبثق العيونْ ..
ويبنى الجند قلعتكِ المنيعةَ ..
بعدها لن تركض الخيل الدخيلةُ فى قرانا ..
بعدها سنقيم عند النيل عُرْسَ المجدِ ..
نرقص " دبكةً " فى الغُوطَتَيْنِ ..
تجيءُ " عشتارُ "
لتبعثَ أنهرا جفتْ ..
وتطلق أنجما أَفَلَتْ ..
وتوقظ فى المروج الخضرِ،
من رقدوا على وعد القيامة يومَ تُبْتَعَثَينْ !

المبحث الثالث
منابع الإبداع العربى الحديث والمعاصر

** تنتمى إلى هذه المصادر عدة قصائد كتبها الشاعر فى مجموعاته المختلفة مثل قصائده عن أمير الشعراء أحمد شوقى وشاعر النيل حافظ إبراهيم، وقصيدته المهداة لشاعر الشام الكبير بدوى الجبل، وقصيدته فى رثاء الشاعر السورى نزار قبانى وقصائده : بكائية على البحر واقتياد زرقاء اليمامة إلى باب زويلة (التى تدور حول الشاعر المصرى أمل دنقل) ورسالة إلى سعدى يوسف (الشاعر العراقى)، وأمين نخلة (الشاعر اللبنانى المعروف)

** من ذلك النبع الثرى (الأدب العربى الحديث والمعاصر) استلهم الشاعر قصائده الثلاث التى كتبها فى شوقى وحافظ، الأولى " لهما اللواء" وقد كتبت فى ذكرى رحيلهما وسبق الإشارة إليها وفيها يعلى ذكر أمير الشعراء وشاعر النيل ومطلعها :

مَلِكانِ هـــلا ·· واللـوا معقـودُ
لما يزل لهما ·· ونحــن شهــود
والنيرات نــوازل بسنـــا العـــلا
والـضـفـتـــان لآلـــئ وورود
ما الحُور ·· والأقداحُ وعد لقائنا
المجد يوم لقاهما المـوعـــود !
طيبا فؤادا لـــم تــزل أعـلامنـا
خفاقةً ·· تعلو هنـــا ·· وتـــرود
((السارقون النار)) قد فتحوا المـــدى

هيهـــات تعلـــو للظـــلام بنـــود
منكم تعلـمنـا وطـــاولـنـا السهـــا
لـمـا شـــدا فينا الغـــد المنشـــودُ
ورأى الزمـــان بلـوحنـــا أحزانـــه
وبكـــى بـــه إنسانـــه المـــوءود
علـــم البيـان بـأننـــا حـراســـه
وبنـــا البيـان مـرفـــه وجـديـــد
إنـــا حطـمنـا مثلكم أغـــلالـنـــا
فى الشعر ما غير الجـمـــال قيـــود !

والقصيدة الثانية " باق أمير الشعر " كتبها فى ذكرى ميلاد شوقى وسبقت الإشارة إليها ومن أبياتها :

حاذيت خطو أميـــر الشعـــر ٠٠ أصحبه
فى عرس مصر ٠٠ وفى الأحزان والنُّوَبِ
رفعـت ألويـــة خـــف الأميـــر لـهـا
فـــى محنة الشرق ٠٠ إنـــى مثله عربى
لما نمتنى الفـراعين العظـام، غـــزا
قلبى ضياء الهدى ٠٠ وانساب فـى نسبى
شـاركـت قـــوم نبى الله مـــا وهبـــوا
للحـــق والمجـد مـن بدع ومن عجب !
يا شعر ٠٠ يا شعر ٠٠ كن نوراً ٠٠ وكن لهباً
إن لاح حلـمـك لا تحجـم ولا تهـب !

أما القصيدة الثالثة فهى بعنوان " شوقى " وفيها يقول مشيدا بسحر شعره، واقتداره على الغناء، وإبداع الموسيقى، والإتيان بالخالد المعجب، وإثرائه لغتنا الجميلة :

ما سحر «بابل» إن ألقيت شاردة
من القوافى ٠٠ وغَنَّى وحيَكَ العودُ ؟
قد اتَّبَعْناكَ نحو النجم ٠٠ فزتَ به
ولم نزل نحن تُغوينا المواعيد !
لنا الرسالات ! سِرُّ الأنبياء بها
لولاه تهوِى من الكون الأسانيد !
لنا الأوابدُ ٠٠ زان الكونَ ما وَهَبَتْ !
منها الهوى ٠٠ والرؤى ٠٠ منها الأغاريد !
من وَعْدِها ما ملكنا المستحيلَ به
ومن شذاها سكرنا وانتشت غِيدُ
أميرنا المُتْرِفَ الفصحى خلدت بها
وعاود القومَ من بستانك العيدُ
قد رَنَّحَتْنا شمولٌ أنتَ دُرْتَ بها
وليس تذوى بدنياك العناقيد !

*

** وتنتمى إلى هذه المصادر الإيحائية المتصلة بالأدب العربى الحديث قصيدته " كلاسيكية الشام " التى أوردناها من قبل والمهداة لشاعر الشام الكبير محمد سليمان الأحمد الشهير ببدوى الجبل ٠٠ لقد ألهمت الحياة الحافلة لشاعر الشام ومكانته الشاعر فؤاد طمان قصيدته تلك ٠ فى مطلعها يشير إلى وقائع نفى الشاعر ابن اللاذقية من بلاده مرات عديدة ٠٠ أثناء الاحتلال الفرنسى ثم البريطانى للشام والعراق

ثم بعد الاستقلال عندما هاجم الحكم المطلق فى بلاده وسخر من نظامها الذى أدى إلى هزيمة ١٩٦٧ المريرة :

سقى الله شط اللاذقية مثلمـا

تمنى فتاها وهو يغشى المنافيا

وهو يشير فى هذا المطلع إلى أبيات قصيدة البدوى " البلبل الغريب " التى يقول فيها :

سقى الله عند اللاذقية شاطئا

مراحا لأحلامى ومغنى وملعبا

وأرضى ذرا الطود الأشم فطالما

تحدى وسامى كل نجم وأتعبا (٥١)

** وقد حرص الشاعر طمان على الإشارة فى قصيدته إلى واقعة نفى البدوى أكثر من مرة ٠ (بقوله " وهو يغشى المنافيا ")، كما حرص على أن يضمن قصيدته شطرا من قصيدة البدوى أو جزءا من هذا الشطر بقوله " سقى الله شط اللاذقية " ٠ كما أشار طمان إلى ذات الطود الأشم الذى ورد فى قصيدة البدوى فقال :

سقى الله شط اللاذقية ٠٠٠٠ ألخ

٠٠٠٠٠٠٠٠٠

وطودا منيعا فى حماها مكابراً

وجاد الربى فيها ورد الليالي

** وهكذا يبين جليا أن البدوى وشعره كانا من مصادر إبداع فؤاد طمان لقصيدته سالفة البيان ٠ ولو لم يطلع على شعر البدوى لما ولدت أبياته تلك ٠

** كما تنتمى إلى تلك المصادر الإيحائية المتصلة بالأدب العربى الحديث قصيدة طمان فى رثاء نزار قبانى وعنوانها " وداعا نزار " (٥٢) :

أَحقّاً هَوَى البلبلُ الصادحُ ؟
وفارق سِفْرَ الهوى الشـارحُ ؟

وهل أنتَ إلا غناءُ البـلابـلِ
والأَرَجُ الفـاتــنُ السـابــح ؟

وهل أنت إلا عويل الريـاحِ
وطوفان غضبتنا الكــاسـح ؟

وطفل العروبــةِ إمَّــا بَكاهــا
ورُخٌّ علــى حصنهـا جارحُ !

** ثم يقر الشاعر صراحة بأن نزاراً مصدر من مصادر إبداعه، بل يقر بأنه كان دليله على طريق الشعر، وأن تجربة نزار الشعرية تُمثل جزءا من صباه وذكرياته، وأنه تعلم منه الغناء وشعر الرفض والتنبيه والإقتحام ٠

دليلىَ أنت ٠٠ وبعـضُ صِبَـاىَ
البديعِ ٠٠ وشدوُ الهوى اللافح

تعلَّــم قلبــى الغنــاءَ ببابِــكَ
وانطلــق المُـنْــذِرُ الـفـاتــحُ

** أما لغة نزار قبانى الخاصة التى تشهد عليها دواوينه الأولى الزاخرة بالمفردات الحية الطازجة المموسقة الأنيقة المنتقاة فقد ألهمت الشاعر البيتين الآتيين :

نفضتَ رُكامَ حروفِ القبيلـةِ
فـالتمـع اللـؤلـؤ الواضحُ

كأن حروفَك غيرُ الحــروفِ
وفُرْشاتَكَ البارقُ الفـاضـح

** كذا فان إنكار بعض النقاد والشعراء الكلاسيكيين من جهة ونقاد الحداثة وشعرائها من جهة أخرى مكانة نزار الشعرية هو الذى ألهم فؤاد طمان الأبيات الآتية التى يدافع فيها عن شعرية نزار ٠٠ تلك الشعرية التى يراها ساطعة كالشمس فى رائعة النهار، ولكن الشرق لا يكرم أبناءه العباقرة إلا بعد موتهم أو بعد فوات الأوان :

تجاهلك المنشدون القدامى
وأنكــرك المُحْدِثُ الطامــحُ

ومـا ينكرون سـوى مـا يــرفُّ
بــه الفَلَــقُ الساطـعُ الصابــح
لك الآن عرشُ الغناء ٠٠ وعـرشُ
القلوبِ ٠٠ فطـبْ أيهــا النــازحُ

خُذِ اليومَ تاجَكَ ٠٠ واغفرْ لشرقٍ
مــواعيــدُهُ الألــقُ الــجانـــحُ !

** كذلك كان شاعر لبنان الكبير وناثرها المبدع وأحد ظرفاء عصره أمين نخلة مصدراً لإبداع فؤاد طمان من خلال قصيدته عنه ٠ وأمين نخلة (١٩٠٤ – ١٩٧٦) هو صاحب الديوان الشهير " دفتر الغزل "، " والديوان الجديد " الذى يضم بعض قصائد الديوان الأول، والأعمال النثرية الشهيرة " الدقائق فى اللغة " و " كتاب الملوك " و " المفكرة الريفية " وكلها أعمال تشى بفصاحة اللغة وتجددها وبسحر بيانها(٥٣)، يقول طمان :

هـذا نـديـمُ الـنَّـدَامَــى
فـى مــجلس الـظُّـرفَـــاءِ
يُـمْـسُــوَن – إمــا تغـنــى
أســرى مـــن الطـلـقـــاء !
*
سِحْـرُ البَـيَـــانِ غَشَاهــمْ
فــرَنَّحُــوا الأقـداحـــا
يـا للفتى ٠٠ قــد سقاهــمْ
فـجَـــدَّدَ الأرواحـــا !

ويشير الشاعر إلى قصائد أمين نخلة الغزلية العاطفية والتى كانت سبباً للإعجاب به واعتباره أميرا من أمراء شعر النسيب (الغزل) :

يُصْغــون والشِّعــرُ يهمِــى
علــى عَــذارى ((أمَيَّـةْ))
وحـامـلُ السهــمِ يــرمــى
كــلَّ القلــوبِ الفتــيَّــةْ !

هـذا أمـيــرُ النـسيــــبِ
فـــأيـن سِــرْبُ البنــاتِ ؟
يعــزفن لـحـــن الحبيب
لطيفـــه ٠٠ فـهــو آت !

** كما تلقى لغة أمين نخلة المتميزة العذبة وبيانه الساحر صدى فى قصيدة طمان :

لا السِّحْرُ من ((عبد شمسٍ))
ولا غــريـبِ المـمالــكْ
مــن أيــن جـاء بهمــسٍ
مــن مفردات الملائِــكْ ؟!

** وغنى عن البيان أن قبيلة " عبد شمس " المشار إليها فى القصيدة هى القبيلة العربية العريقة التى ينتسب إليها أمية بن عبد شمس جد الأمويين وكان من سادة قريش فى مكة ٠ فلا غرو أن يندهش الشاعر من لغة أمين نخلة المتميزة والتى ليست من عبد شمس القرشية سيدة اللغة بل إنها من لغة الملائكة الهامسة ٠ ويختتم طمان قصيدته بالثناء على شعر وبيان نخلة الذى عد أشعاره عيدا للغناء وبيانه من البيان العالى الذى يطاول السماء أى السحاب (فكلمة السماء تعنى السحاب لغة فضلا عن

معناها المعروف، والسماء من كل شئ : أعلاه، وهى كل ما علا المرء فأظَلَّه(٥٤) يقول فؤاد طمان :

أنْشِـــدْ ٠٠ فعيـدُ الغنـاءِ
قـصيـــدةٌ منـكَ تُتْلَـى
هـــذا بيـــان السمـــاءِ
بـــهِ ٠٠ بـــهِ هـــى أَوْلَـــى !

** وحول تجلى الشاعرين نزار قبانى (السورى) وأمين نخلة اللبنانى فى مصادر إبداع فؤاد طمان يقول الدكتور سعد دعبيس : " لعل أبرز الشعراء المعاصرين الذين أشار إليهم طمان (فى ديوانه أبجدية النجم البعيد) الشاعر أمين نخلة والشاعر نزار قبانى الذى ودعه عند موته بقصيدة من روائع شعره وهى قصيدة بعنوان " وداعاً نزار " ٠٠٠٠ ويمكن أن نلمح بعض الشبه بين شاعرنا ونزار قبانى ماثلا فى تعدد تجارب الحب عند كليهما، والروح الساخرة المرحة فى بعض غزلياتهما، ولعل هذه الروح الساخرة المرحة تبدو جلية واضحة فى قصيدة " الحورية " التى نرى فيها طمان يقبل حورية البحر ألف قبلة بينما هى تترك مئزرها قبل ان تعود إلى عالم الخفاء معلقاً فوق أغصان الشجر إلى آخر هذا الحوار الفنى الجميل بينه وبين هذه الحورية العاشقة المعشوقة ٠ ثم يلتقيان أيضاً فى امتزاج تجربة الحب لديهما بالموقف السياسى الثورى المتمرد على طواغيت العصر فى عالمنا العربى(٥٥)٠

** وفى قصيدة فؤاد طمان المعروفة " بكائية على البحر " (فى صورتها الأولى المنشورة فى الديوان الذى يحمل اسم القصيدة(٥٦)) يشير إلى أصدقائه الشعراء المعاصرين له : يوسف عز الدين عيسى وأمل دنقل وعبد المنعم الانصارى (منعم) فهم مصدر إلهامه فى هذه القصيدة ٠

يقول الدكتور سعد دعبيس(٥٧) فى هذا الصدد :

** تنتمى لمصادر الأدب العربى المعاصر الإيحائية التى استلمهم منها فؤاد طمان أعماله الشعرية قصيدته بكائية على البحر، حيث نجد الشاعر فيها يلوذ هاربا من إحساسه بالغربة فى ليلة حزينة من ليالى الشتاء إلى وطنه الروحى ٠٠ إلى شعراء الإسكندرية وفنانيها فى مقهى " إيليت " وعلى شاطئ البحر، من أمثال الروائى السكندرى الشاعر الراحل الدكتور يوسف عز الدين عيسى والشاعرين الراحلين أمل دنقل (فى مرحلته السكندرية) وعبد المنعم الأنصارى وفى ذلك يقول :

سرت وحدىَ والليل أسودُ ٠٠ أسودُ ٠٠
قابلت أصحابىَ الشعراء المساكينَ
أشعلت غليون " يوسف "
(كان كعادته صامتا وودودا) ٠٠
وأشعل من حولنا " أملٌ " نارَهُ
نهر البحر مستنطقا صخرَهُ :
أيها البحر أين الذى قد وعدت به ؟!
أين هذا الذى نفتديه بأيامنا ؟!
ورثى " منعم" حلمَهُ ٠٠
وبكى عند بوابة السجين مهجته الضائعةْ !

** أما " يوسف " المشار إليه فى القصيدة فهو الروائى الشاعر الراحل / يوسف عز الدين عيسى الذى كان من أصدقاء الشاعر وكان أستاذا بارزا بكلية العلوم جامعة الإسكندرية وله من الروايات والمسلسلات الإذاعية ما جعله نجما فى الحركة الأدبية بالإسكندرية ونال لذلك جائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام ١٩٨٧ ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ١٩٩٠(٥٨)

** وأما "أمل" "ومنعم" فى القصيدة فهما الشاعران المعروفان أمل دنقل وعبد المنعم الأنصارى وقد عرف بهما فؤاد طمان فى هوامش ديوان بكائية على البحر على النحو التالى :

– " أمل " : هو الشاعر المصرى الراحل أمل دنقل ٠ عاش عدة سنوات بالإسكندرية فى الستينيات من القرن العشرين ٠ ولد بصعيد مصر فى ١٩٤٠/٦/٢٣ ورحل فى ١٩٨٣/٥/٢ ٠ ساهم باقتدار بعد جيل الرواد فى حركة تجديد القصيدة العربية ٠ وهب حياته للشعر، ووهب شعره لقضايا مصر والعروبة٠

– " منعم " وهو الاسم الذى اشتهر به الشاعر السكندرى المعروف عبد المنعم الأنصارى وكان نجله الأكبر " طلال " قد سجن فى قضية سياسية فى عهد الرئيس السادات الذى أفرج عنه بعد رحيل الشاعر(٥٩)

** كان من مصادر إبداع فؤاد طمان – ضمن مصادر الإبداع السكندرى والمصرى المعاصر– : لوحات فنان الإسكندرية الشهير سيف وانلى الذى كان بيته ومرسمه يقعان فى قلب المدينة بالقرب من " محطة الرمل " ٠ وقد أشار إليه الشاعر فى قصيدته " ما أبقت الريح " التى يضمها ديوانه " بكائية على البحر " كما أشار إليه فى هوامش ذلك الديوان بقوله :

" هو الفنان التشكيلى الاسكندرى الكبير سيف وانلى ٠ ولد فى ٣١ مارس ١٩٠٦ بالإسكندرية وعاش عمره فيها ٠ توفى فى ١٥ فبراير ١٩٧٩ فى استوكهولم ودفن بالإسكندرية ٠ تتلمذ على رواد الفن المصرى الحديث محمود سعيد ومحمود مختار ومحمد ناجى وعلى الفنان الإيطالى " أتورينو بيكى " ٠ وفى الأربعينيات أسس مع شقيقه الفنان " أدهم وانلى " مرسما صار من معالم الإسكندرية الثقافية ٠ وهما حفيدان لأحد أمراء دولة الداغستان وجدهما لأبيهما السنجق محمد وانلى، وجدهما لأمهما محمد عرفان باشا "(٦٠)

** يقول الشاعر فؤاد طمان فى قصيدته " ما أبقت الريح " :

ولى طفلةٌ كلما أوغل الليل تسألنى :
" يا أبى ما الذى نملك الآنَ ؟

هذى هى العربات التى تترصدنا فُوَّهاتُ بنادقها
تحمل الآن أشياءَنا
وكنوزَ مدينتنا الضائعةْ ٠٠ "
٠٠٠٠٠٠٠٠
هو الليل يهبط مثل النوارسِ
حين ترى صيدَهاِ فى المياهِ
فتنقض فى عنفوان الفُجاءَةِ،
وحشيَّةً ٠٠ جائعةْ ٠٠
ولكننى أملك الآن حلما يراودُنى ٠٠
ومنارا تهدَّمَ أو كادَ ٠٠
ينبعث الضوء منهُ ٠٠
قليلاً ٠٠
ولكنه سو ف يكفى الزوارق حتى تؤوبَ
ومازلت أملك سفرى المُقَدّسَ ٠٠
سفرى المُوَزَّعَ
ما بين طيات قلبى، وأروقة السرِّ ٠٠
تلك التى تختفى فى بيوت المدينة ٠٠
أو فى مغاراتها الشاسعةْ !
ولى الموج ٠٠ والزبد المتقافزُ ٠٠
والطائر الأبيض المتنقِّلُ
ما بين شرفةِ " وانلى "،

وأرجوحة الزرقة الساطعَةْ
ومازال لى ألق البدء والوعدِ ..
والنُّصُبُ المرمرى المقدسُ ..
وامرأةٌ عرشها فى السديمِ،
تتابع خطوى فى الليلِ،
فى طرقات الشمال الحزينِ ..
النسائمُ قادمةٌ من شطوطِ المحالِ ..
وهذا هو البحرُ،
ينشد أنشودة الحُبِّ للمرأةِ الرائعةْ ..

** هكذا أطل سيف وانلى من القصيدة .. فعندما سألت طفلة الشاعر أباها عما تبقى لهما بعد أن نُهبت المدينة ووجهت عربات الناهبين بنادقها نحو ساكنيها وهى تفر بكنوزهم .. أجابها بأنهما لم يفقدا كل شئ .. بل لا زال لديهما " الحلم " (الأمل فى غد أفضل) و " المنار " الذى برغم تهدمه لا يزال الضوء ينبعث منه وهو ضوء كاف لكى تئوب الزوارق على هديه (أى لا زال هناك ما يهتديان به هما وقومهما ويكفى لكى يصلوا عن طريقه إلى بر الأمان (والمنار هنا يرمز للنور والمعرفة والقيم) . ولازال لديهما الجمال الذى يرمز له الموج والزبد الأبيض المتقافز . وعندما يقول الشاعر إنه لا يزال يملك الطيور التى تنتقل ما بين شرفة " وانلى " والزرقة الساطعة إنما يعنى أن تراث الفن والجمال والثقافة باق وهو ما يعنى أن كنوز المدينة لم تفقد كلها وأن الأمل فى النهضة لا زال باقيا .

ويستطرد الشاعر قائلا :

سألقى " كفافيس " يمشى الهوينى صباحا لبوابة البحرِ

مختتماً لحنه فى الطريقِ : " ستبقى هنا ٠٠ لا موانىَ أخرى !"
سألقى على الموج والغيم أصحابىَ الشعراءَ المغاويرَ ٠٠٠ الخ

** وفى هذا الصدد يقول الدكتور / سعد دعبيس : الشاعر إذن يرى أننا بريشة وانلى وشعر كفافيس (شاعر الإسكندرية اليونانى الكبير) والشعراء المغاوير، سنتصدى لتتار القرن الحادى والعشرين وسنجعل الضياء مهما كان قليلا ينبعث من المنارات التى كادت أن تتهدم ويرشدنا لموانى الوصول فى ظلام الليل البهيم ٠ إننا بالفن الجميل وبالحضارة نستطيع أن نهزم أعداء الحياة ٠٠ ومن ثم ستبقى الإسكندرية "٠ والاشارة السابقة إلى قسطنطين كفافيس تلفتنا إلى أن أعمال هذا الشاعر السكندرى اليونانى الكبير كانت أيضاً من مصادر الابداع الحديث التى استلهمها فؤاد طمان فى شعره ٠ فقصيدة " المدينة " لكفافيس مثلا أشير إليها فى قصيدتين لفؤاد طمان هما " ما أبقت الريح " التى نعلق عليها، وقصيدة " بكائية على البحر " فى قصيدة " المدينة " يقول كفافيس إنه قرر أن يذهب إلى بحر آخر ومدينة أخرى ولكنه عاد يقول " لكن محاولاتى مقضى عليها بالفشل لن تجد بلدا ولا بحارا أخرى ستلاحقك المدينة (الإسكندرية) وستهيم فى شوارعها ذاتها وستدركك الشيخوخة ى هذه الاحياء بعينها ٠٠ لا تأمل ى بقاع أخرى !! "

** ومن هنا استوحى فؤاد طمان أبياته السابقة التى أشار فيها صراحة لكفافيس وذكر جملة من قصيدته (ستبقى هنا لا موانى أخرى) ٠ وفى قصيدة طمان أيضاً " بكائية على البحر " ذكر كايس بالاسم متحدثا عن ظلة " الذى يتأرجح بين المدينة والسفن المبحرات لشط السَّراب "(٦١)

– كذا فإن الشاعر أمل دنقل شخصياً وحياته وإبداعه من مصادر إبداع فؤاد طمان الشعرى ٠ وقد سبقت الإشارة إلى قصيدة طمان المعروفة " بكائية على البحر " حيث ورد اسم " أمل " صراحة فى القصيدة (فى صورتها الأولى) ٠ وقد كانت الإشارة وجيزة فهى مجرد لمحة حملتها الأبيات التالية :

سرت وحدىَ فى الليلِ والبحر أسودُ ٠٠ أسودُ ٠٠
قابلت أصحابىَ الشعراء المساكين، طيفا ٠٠ فطيفاً ٠٠
٠٠٠٠٠
وأشعل من حولنا " أملٌ " نارَهُ
نَهَرَ البحرَ مستنطقا صخرهُ :
أيها البحر أين الذى قد وعدت بِهِ ؟!
أين هذا الذى نفتديه بأيامنا ؟!

** ولم تكن هذه هى المرة الوحيدة التى استوحى فيها الشاعر لوحات من حياة أمل دنقل وإبداعه وصلة الصداقة التى جمعته به ٠

** بل كان أمل مصدرا إيحائيا لطمان فى قصيدة خصصها كاملة له، وهى قصيدته الطويلة : " اقتياد زرقاء اليمامة إلى باب زويلة " (٦٢) ٠ وزرقاء اليمامة امرأة فى الجاهلية ضرب بها المثل فى حدة البصر وقد نبهت قومها إلى أعدائهم القادمين قبل أن يراهم أحد فلم يصدقوها إلى أن داهموهم بسيوفهم ٠ وهذه القصة القديمة هى التى أوحت لأمل قصيدته الهامة " البكاء بين يدى زرقاء اليمامة " التى كتبها فى هزيمة ١٩٦٧ وأسست مكانته فى الساحة الشعرية آنذاك من المحيط للخليج ٠ وقد نحا أمل فى قصيدته باللائمة على قومها الذين كذبوها فحلت بهم الكارثة ٠ وأسقط هذه القصة على الواقع العربى الذى أدى للهزيمة، فالأنظمة العربية لم تولى ثقتها للمثقفين (وترمز لهم زرقاء اليمامة التى ترى ما لا يراه الآخرون) واضطهدتهم وقللت من شأنهم ولم تصغ لهم ولم تلتفت لتحذيراتهم فكانت الهزيمة الساحقة ٠ كتب طمان قصيدته وأهداها – فى ديوانه أوراق الرحلة المرجأة – لأمل دنقل ٠٠ وفى مطلع القصيدة وفى مقاطع عديدة منها تحدث عن أمل المولع ببلاده والذى ظل يناجيها وينبهها حتى أيامه الأخيرة التى قضاها فى الغرفة ٨ بمعهد الأورام بعد إصابته بمرض السرطان ٠ يقول طمان:

بُحَّ صوتُ فتاكِ المتّيمِ
حتى تمدد فى الغرفة الثامنةْ ..
.....
ها هو الآن ينهضُ ..
يشعل سيجارةً فى العراءِ،
ويمضى إلى «الكعكةِ الحجريَّةِ» ..
لا شىء فى ساحةِ الأمسِ
غير المماليكِ، والمرأةِ الماجنةْ ..
يستديرُ ويمشى لمقهاهُ .. لا يجدُ الأصدقاءَ ..
يحُثُّ خطاهُ، فَيَلْمَحُ سيارةَ الضابط المتنكِّرِ،
والطفلةَ الحالمةْ ..
يتسلَّلُ نحو الغروبِ ..
يغادرُ دارَ «المُعِزِّ» القديمةَ ..
يخرجُ للمدن القادمَةْ ..
مُلْقياً بالشهادةِ ..
عَيْناهُ صَوْبَ أبى الهول حيناً ..
وحِيناً على الأوجه الخائنةْ !
.....
لم أزل أتأمَّلُ أنهارَكِ الآسنةْ ..
والفتى لا يزال سقيما بغرفتِهِ، يتألَّمُ ..

لكنه لا يزال يناديكِ فى لحَظاتِ الإفاقةِ ..
يُمْسِكُ طَرْفَ وشاحِكِ – حين تمرِّينَ فى الغَيْمِ –
بالقبضةِ الواهنةْ ..
.....
بُحَّ صوتُ الفتى ..
عندما لم تجيبيهِ أَطْلَقَ صرخَتَهُ الآخِرَةْ ..
ها هو الآن يرقدُ بين زمانِ الهزيمةِ والبعثِ،
فى اللحظةِ الحائرةْ ..
مات لكنَّ صرخَتَهُ لا تموتُ ..
وجَذْوَتُهُ – تحت هذا الرمادِ
الذى يغمر المدنَ المستباحَةَ – خالدةٌ .. كامنةْ ..
نام يغمُرهُ دمعُ ((إيزيسَ)) ..
ترثيه ((زرقاءُ)) وقت الزوالِ،
وترثى أمانيَّها الكاهنةْ ..
.....

** ويلاحظ أن فؤاد طمان أشار فى المقاطع السابقة إلى أشياء وثيقة الصلة بأمل وتجربته الإبداعية، ففيها أشار إلى توجه أمل إلى " الكعكة الحجرية " وهذه الكعكة ليست إلا النصب الرخامى الضخم الذى كان يتوسط ميدان التحرير بالقاهرة والذى أطلق عليه أمل نفسه هذه التسمية .

** وفؤاد طمان يشير بهذا إلى قصيدة أمل الشهيرة " أغنية الكعكة الحجرية " التى سجل فيها مظاهرات الطلاب ضد حالة اللاحرب واللاسلم مطالبين بتحرير

الأرض المحتلة فى معركة ١٩٦٧ بالقوة ٠ " وهى ذات القصيدة التى أسماها أمل فيما بعد سفر الخروج ونشرت فى ديوانه العهد الآتى "

** كما أشار طمان إلى مقهى " ريش " القريب من ميدان التحرير والذى كان يجلس به أمل ساعات طوالا يومياً أثناء إقامته بالقاهرة (٦٣)

** وفى المقطع الأخير سالف البيان يفسر طمان موت أمل بعدم استجابة حبيبة – البلاد – له ٠٠ مات ولكن جذوته خالدة، والكاهنة المتنبئة – جماعة المثقفين – تبكيه وتبكى نفسها ٠٠ ولكن موته سيعقبه البعث لأن دمع إيزيس (إلهة الخصب والبعث عند الفراعنة) يغمره وهو نائم مسجى، وفى الأسطورة الفرعونية أن أوزوريس زوج إيزيس وأخوها الذى قتل بعث بعد ما جمعت إيزيس أشلاءه الممزقة وسالت عليه دموعها ٠

** وفى المقطع التالى يؤكد طمان أن أمل لم يمت ٠٠ لقد صعد فقط أو لعل البلاد خبأته بأحضانها ٠٠ تماماً كما قال أمل عن صديقه المشار إليه فى قصيدته : الورقة الأخيرة / الجنوبى ٠ وبينما يقول أمل فيها :

ليت أسماء تعرف أن أباها صعدْ

لم يمت هل يموت الذى كان يحيا كأن الحياة أبدْ

** بينما يقول أمل ذلك عن صديقه ٠٠ يقول طمان عن أمل نفس الأبيات بعد أن عدلها لتنطبق عليه فبدلا من " أسماء " الواردة فى قصيدة أمل يقول طمان " عبلة " وهى زوجة أمل وهكذا، وهو لون من " التضمين " فى اصطلاح القدماء :

هو ذا راقدٌ ٠٠

مرسلا طَرْفَهُ للغيومِ البعيدةِ ٠٠

مُتَّشِحاً بالأسى للأبدْ ٠٠

(ليت ((عبلةَ)) تعرفُ أن فتاها صعدْ ٠٠

لم يمتْ ٠٠

هل يموت الذى كان يحيا
كأن الحياةَ ملاحمُ حُبٍّ وحربٍ ..
وذَوْدٍ عن الفقراءِ ..
وذود عن الوطن المستباحِ ..
ألا ليت ((عبلة)) تعرف أن الفتى لم يمتْ ..
فالبلاد بأحضانها خَبَّأَتْهُ ..
وراحت تُعَلِّمُهُ أن يسيرَ ولا يلتقى بأحدْ)
.....
***

** ثم يقول طمان فى المقاطع التالية من قصيدته : إن أمل بعث من جديد ليتبع أصوات الشعب الغاضبة على تشريعات صدرت – بعد رحيل أمل – مقيدة للحريات، وإنه عندما يرى بلاده ماثلة يستعيد قوته ويشارك حبيبته غضبها ويحثها على المقاومة وعدم الاستكانة، ويتخيل تكرار مأساة زرقاء اليمامة مرة أخرى، فقد قيدها المماليك الجدد واقتادوها لباب زويلة – الذى شنق عليه السلطان طومان باى – لكى يشنقوها ٠ وهنا ينتصب أمل ماثلا فى قصيدة طمان ليحرض البلاد على حماية الحرية والمنافحين عنها وإلا نالها ما نال قوم زرقاء من كوارث :

يقول طمان :

ها هو الآنَ (والكلام عن أمل)
يَخرج من صفحةِ الأبديَّةِ،
يَتْبَعُ أصواتَنا الهادرَةْ ..
عندما تتبدَّى حبيبتُهُ بيننا يستعيدُ الفُتُوَّةَ ..

يَهتفُ فى ظُلمةِ الأمكنةْ ..

.....

تحت مركبةِ الرعدِ والبرقِ والريحِ ؛
كانت هنا الأرضُ تهتز تحت الهتافاتِ من كل أركانِها،
والمُشرِّعُ فى سَمْتِهِ الوَثَنِيِّ
يحاول أن يأسِرَ الأزمنةْ

.....

قال للمرأة المستكينةِ لا تستكينى، فأنت البدايةُ والمنتهَى !
قال : أنتِ بكيتِ على صدر ((زرقاءَ)) بالأمسِ،
بعد فوات الأوانِ ..
وما زلتِ بين الدِّما الساخنةْ ..
كيف هانت عليك دماؤُكِ،
وانطفأت عِظَةُ الطَّعْنةِ الغادرةْ ؟
لم يُبَالِ بمضبطةِ البرلمانِ ..
ولا بالذين أَعَدَّهُمُ الحرسُ المنتمِى،
من شهودِ العيانِ ..
ولا بالفقيه الذى سَدَّدَ النظرةَ الماكرةْ ..
قال : فُكِّى إسارَ فتاةِ ((اليمامةِ)) ..
إن المماليكَ لا يثقون بنظرِتها السَّافرةْ ..
قال لا تجعليهمْ يقودونها نحو «بابِ زويلة»
أو أسلمى الرُّوحَ من بعدها تحت خيلِ «المغولِ»،

إذا دَاهَمَتْكِ على باب خَيْمَتِكِ الخائرةْ !

. . . . . .

** ويلاحظ أن فؤاد طمان ضمن المقطع السابق أبياتاً معدلة من قصيدة أمل "الكعكة الحجرية " ٠ فأما أبيات أمل الأصلية فتقول عن لسان الفتى المتظاهر : "**اذكرينى فقد نسيتنى شهود العيانِ ٠٠ ومضبطة البرلمانِ ٠٠ الخ** " ٠

وأما طمان فيقول إن أمل عندما بعث من الموت ناصر بلاده وحثها على ألا تستكين و :

لم يبال بمضبطة البرلمانِ
ولا بالذين أعدهم الحرس المنتمى
من شهود العيانِ !!

** وفى الجزء الأخير من قصيدة طمان يقول إن أمل بعد أن بعث من موته وشارك فى غضب شعبه قبض عليه الجند واقتادوه للحائط الملكى حيث قتله الرماة:

جِىَء بالجندِ، واقتيدَ للحائطِ المَلَكِىِّ !
إذن سو ينحسرُ النورُ،
كى تغمُرَ الظلمةُ ((القاهرةْ)) ٠٠
ظلمةٌ ممعنةْ ٠٠
لن يُرى بعدها الهرمُ الأكبرُ المتداعِى،،
وفيها سيصعد جندُ المماليكِ للقصرِ
والمدّعونَ النبوَّةَ للمئذنةْ !

. . . . . .

قتلوهُ
وخَلَّف جثتَهُ فى العراءِ الرماةْ ٠٠

فاذكريه كما تذكرين الطغاةْ !
اذكريهِ كما تذكرين المهرِّبَ،
والمطربَ العاطفىَّ، و ((كابَ)) العقيدِ،
وزينةَ رأسِ السنَةْ ٠٠
اذكريهِ إذا نسيته شهودُ العيانِ ٠٠
ومضبطةُ البرلمانِ ٠٠
وقائمةُ التُّهَمِ المعلَنَةْ)

** وفى هذا المقطع تضمين من قصيدة أمل " الكعكة الحجرية " كما اعتاد طمان أن يفعل من بداية قصيدته ٠ هذه المرة أورد أبيات أمل التى جاءت على لسان المتظاهر وهو يحدث بلاده طالبا منها أن تتذكره :

" اذكرينى كما تذكرين المهرب،
والمطرب العاطفىّ، وكاب العقيدِ،
وزينة رأس السنةْ ٠٠ الخ "

** فضمَّن طمان هذه الأبيات قصيدته بتعديل طفيف طالب من خلاله البلاد بأن تتذكر " أمل " كما تتذكر ما مر بها من طغاة وكما تتذكر المهرب والمطرب العاطفى ٠٠٠٠ الخ

** وفى المقطع التالى يقول طمان إن " أمل " بعث مرة أخرى وراح يبحث عن سيدته (مصر) بينما كانت زرقاء فى قبضة الجند والفقهاء (فقهاء القانون الذى شرعوا التشريعات ضد الحرية) وكان يرى السيول القادمة بينما لا يراها المماليك :

عاد من موتِهِ من جديدٍ
إلى المدنِ الخائفةْ ..
مَرَّ فى حَذَرٍ بقصورِ ((ملوكِ الطوائفِ))،
طائفةً .. طائفةْ ..
راح يبحثُ عنكِ،
و ((زرقاءُ)) فى قبضةِ الجُنْدِ والفقهاءْ ..
كان يبصرُ تلك السيولَ – التى لا يراها المماليكُ –
راعدةً .. جارفةْ ..
عندما لم يَجدْكِ،
تَسَلَّقَ أسوارَ قَصْرِ ((المُعزِّ)) .. فَسُورَ السماءْ ..
صاح فلتنهضى يا فتاةَ الرعودِ ..
فمن ذا الذى يوقفُ العاصفةْ ؟
***
قلتُ للفقهاءِ :
المدينةُ آباؤها الشعراءُ !
الصَّبِيَّاتُ لا يعتقلنَ أباهُنَّ
حين يبادلهُنَّ كؤوسَ الغَضَبْ ..
***
كانت الجندُ تدفع للنهر أفئدةَ الشعراءِ ..
وكانت كعوبُ البنادق تدفعُ أوراقَ ((تانيسَ)) ..

والنارُ تأكل سِفْرَ العَرَبْ ..

***

قلت صونوا الحروفَ،
فإن سيوف المَذابحِ
تَخْرُجُ من حَشْرَجاتِ الكُتُبْ !

** وأخيراً فإن فؤاد طمان قد استلهم من حياة الشاعر الرائد أحمد عبد المعطى حجازى وشعره وفكره بعضا من قصائده .

** فالمعروف أن حجازى قد توقف عن كتابة الشعر سنوات طوالا بعد صدور ديوانه الأخير " أشجار الأسمنت " عام ١٩٨٩ وقد استلهم طمان من هذا الموقف قصيدته الكلاسيكية البديعة " صَمْتَ المُغَنِّى " وفيها يقول :

قـال الغـريـمُ تـولَّى الآنَ مُنشدكـم
خَطْوُ المشيبِ صداهُ أَسْكَـتَ العُـودا
جـف المَعِينُ .. وأغصان الكروم ذوت
ولـم يعد يُسمِعُ الناسَ الأنـاشيـدا
أقسمت إن بجنب الشيـخ قلـبَ فَتًى
ما زال يُطْلِقُ فى الكون الأغاريـدا !

*

قـد يصمـت الطيرُ يأسًا مـن أَحِبَّتِهِ
فـلا يُغَنِّـى، ولا يحسـو العناقيـدا

لكـــــن أنشـــودةً بالأمـــس أَنْشَدَهـا
مـــا زال رجـــعُ صداهـــا يوقظ البيدا
ويبعـــث الـرُّوح فى الأشلاءِ ٠٠ محتدمًا
فينـــا ٠٠ لنضـربَ للمجـد المواعيـــدا !

*

ويـــا مغَنِّـــى زمـان العشـــقِ إن لـنـا
دربـــا لحلـــم الصِّبـــا الـوردىّ ممدودا
هَـــوِّنْ عليك إذا ريـح الدجى عصفت
وشَتَّتَتْ شملنا ٠٠ مـــن يـهزم الصِّيدا ؟!
أنشِدْ ٠٠ وأنشد ٠٠ من الغيمات قـــادمةٌ
شمسُ الشموسِ ٠٠ وحورٌ تصحب العِيدا
بـــالشعـــر نهدى لهـــذا الكـــونِ جَنَّتَهُ
وبـلبلاً للهـوى القـــدسـىِّ غِـرِّيـــــدا

*

** وجدير بالذكر أن حجازى بعد هذه القصيدة كتب قصيدتين بعد طول صمت ونشرهما فى جريدة الأهرام إحداهما فى رثاء أمه ! والمؤكد أن حجازى وطمان تجمعهما صداقة شخصية حميمة وأن حجازى يتمتع بمكانة خاصة لدى زميله جعلت الأول يعيش فى شعر الثانى ٠ ولا أدل على ذلك من قصيدة " صمت المغنى " سالفة البيان، ومن إهداء طمان مختاراته الأخيرة (قصائد من فؤاد طمان) إلى حجازى ووصفه إياه بأنه " الأسبق ٠٠ الأمهر ٠٠ خالق روائعه على غير مثال ! "، فضلا

عن قصيدة طمان " أنشودة البجع " الواردة فى ديوانه " مدى للورد والرصاص " وهى " معارضة " طويلة لقصيدة حجازى " طيور المخيم " ٠

يقول حجازى فى قصيدته طيور المخيم :(٦٤)

خيمةُ، وعمودٌ من النارِ
تلك فلسطينُ تطلع ثانيةً فى الجليلْ
عبثاً تقتلون الأجنَّةَ فى باطنِ الأرضِ !
أو تتبعون الغزالةَ فى لُججِ الضوءِ !
أو تُنصتون إلى ما يُسِرُّ بِهِ الرملُ من دمِها السَّلسبيلْ
.....
.....
خيمةٌ، وعمودٌ من النارِ
تلك فلسطينُ تطلع ثانيةً بعد أيلولَ
تطلع بعد حزيرانَ
تطلع من زمن الشهداءِ،
وتمتدُّ حتى تلامِسَ من دمِها صِبيةً فى المُخَيَّمِ
لم يشهدوا من فلسطين إلا الحنين إليها
وها هم يمدون أجسادهم لتراب فلسطين قنطرةً
يملأون بأشلائهم هُوَّةً
تتحدر بين مُخَيَّمهم وسماء الجليلْ !
.....

.....

لا أُبشِّرُ بالموتِ !
لكنه سيكون حضارتكمْ
أيها القادمون لنا بالتوابيتِ محشوةً بالبنادقِ ..
لستُ أبشَّر بالموتِ !
لكنه سيكون حصيدَ محاريثكمْ
ورفيقَ مواليدكم
وضجيع نسائكمُ .. الموتُ !

.....

.....

تلك فلسطين ما بيننا
وحدود فلسطينَ ليست هى النهرَ
إن حدود فلسطين آخرُ قطرةِ دمٍّ تسيلْ !

.....

وفلسطينُ واقفة وحدها
خيمةً فى العراءِ
ترُدّ الجحافلَ عن ملكوتِ التشرُّدِ
من بعد ما فتحتْ لهمُ المدنُ السبعُ أبوابَها
ودعاهم ملوكُ الطوائفِ للصيد والقنصِ
فى الجسدِ العربىِّ الجميلْ !

.....

. . . . . .

وأنا
وطيورُ المخيَّمِ
ليس لنا علَمٌ !
مِثلُنا مثلُ رمل الصحارى
ومثلُ النخيلِ
ومِثلُ فلسطينَ ليس لنا علمٌ !
ولنا ملكوتُ التشرُّدِ
ليس لنا غيرُ هذا الطريقِ الطويلْ !

** وواضح من القصيدة أن حجازى رغم محنة فلسطين على يقين من بقاء فلسطين وشعبها، ويؤكد أن الصهاينة عبثا يحاولون الاستيلاء على الأرض وإبادة شعبها، وأن حضارة الأعداء مصيرها الفناء ليس لأنه يبشرهم بالموت ولكن لأن الفناء هو نتيجة طبيعية للمذابح التى ارتكبوها، وأن المعركة ستستمر حتى آخر قطرة دم ٠

** وهذا بالضبط ما دفع فؤاد طمان لمعارضة القصيدة فيما يبدو ٠٠ فهو مَعْنِيٌّ كحجازى بفلسطين قضية العرب الأولى وقضية الشعر العربى الأولى أيضاً ٠ وهو يتحرق شوقا للعدل ولعودة حقوق الشعب الفلسطينى ٠ ولكنه يعبر فى قصيدته عن تشاؤمه وعن ضياع فلسطين بل إنه يلمح إلى أنه ما لم يأخذ العرب العبرة مما حَلّ بفلسطين فان مصيرهم سيكون كمصيرها، وهو يحذر فى النهاية من تصديق أكذوبة السلام ٠ يقول فؤاد طمان :

تلك أنشودة البَجَعِ المختفى فى شطوط البحيرةِ،
تأتى مع الريح، خافتةً، من بعيدٍ ٠٠
ورائحة البرتقالِ الذى يملأ الآن بستانَ «يافا» ٠٠

وعطرُ حبيبى الذى يتسلل عَبْرَ الطلولْ ..

***

إن للبَجَع المُتَنَظِّرِ ريحَ النهايةِ
أنشودةً عذبةً فى أوان الرحيلْ ..
وأنا – مثلما قالت الريح عنى –
سأنشد أنشودتى فى جبال النهاياتِ،
للعابرين الممر الطويلَ .. الطويلْ ..
.....
فاتبَعوا ظِلِىَ المتهاوِى !
مرايا الغد المدلهمِّ معى ..
وكتابُ المراثى .. ولحنُ النشيد الأخيرِ ..
وسرُّ تميمتكمْ
(وهى من شهقتى ..
ودمائى التى تتطاير تحت صهيل الخيولْ ..)
غنوةُ الطيرِ تأتى مع الريحِ
مبتلةً بمياهِ البحيرةِ .. مبتلةً بدماء «الجليلْ» ..
والجيادُ التى امتَزَجَتْ بدماها دمائىَ،
طارَدْتُها فى الضبابِ .. وضيّعتها فى مهب الرياحِ ..
وها أنذا أهبط التلَّ وحدى،
وأفقد بين الصَّحارَى السبيلْ ..
.....

خضت موج ليالىَّ، أبحث عن واحةِ السرِّ،
فى زمن عَزَّ فيه الدليلْ ..
.....
زَحَفَ الموتُ نحوىَ ..
غَنَّيْتُ للدمِ والنارِ ..
غَنَّيْتُ للغصن منتعشاً بالندى ..
لهديل الحمام الذى ملأ الأفق والمرتقى فجأةً
وأفقتُ على غنوةِ البَجَع المختفى فى شطوط البحيرةِ ..
ثم وجدتُ أمامىَ بوابةَ المنتهى،
ووراءى سيوفَ المغولْ !

***

وطنى يغلقُ الآنَ أبوابَهُ
وأنا نازفٌ فى التخومِ القريبةِ .. والعمرُ يمضى ..
وزيتونتى فى أوان الذبولْ ..
.....
عطر ((يافا)) يهلُّ ..
دعوه معى ..
– والزهور القليلة – فى شاطئ الصمتِ ..
لا تقتفوا أثرى وأنا ذاهب لمصيرىَ !
هل أفتديكم أنا الآن ؟ أم نتلاشى معًا،
كالظلالِ التى تختفى فى احتضار الأصيلْ ؟

٠٠٠٠٠٠٠

ألقٌ يتوارى رويدا ٠٠ رويداً ٠٠ قُبَيْلَ الغروبِ ٠٠
فأسقط فى دَرَجاتِ الزوالِ !
اتركوا جثتى للطيور الجوارحِ ٠٠
وامشوا لعُشِّ حبيبى البعيدِ ٠٠
حبيبى المُسَجَّى وراء عويلِ النخيلْ ٠٠
كَفِّنُوه برائحة العشب والفُلِّ،
تحت صليب النبيِّ القتيلْ !

٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

سيكفُّ عن الشدوِ طَيْرُ البحيرةِ !
أمَّا أنا
فسأبقى على الصخرِ، طيفاً ينادى وليَّ الدماءِ ٠٠
ويهتفُ فى هَدْأةِ الليلِ :
لا تأنسوا للهديل المراوغِ ٠٠ لا تأنسوا للهديلْ !(٦٦)

المبحث الرابع
الواقع العربى المعاصر

** إلى هذه المصادر تنتمى قصائد كثيرة لفؤاد طمان ٠٠ تتحدث عن مصر والشام وفلسطين والمغرب والكويت ولبنان والسودان والجزائر والعراق ٠

** وتأتى قضايا لبنان فى صدارة تلك المصادر ٠٠ فلم يكتف الشاعر بإشارة عابرة لها مثلما فعل بالنسبة للجزائر بل إن قصائده عن لبنان تدل على تعاطفه العميق

معه واحتفائه بقضاياه ٠٠ قضايا الحرب الأهلية، والحصار الإسرائيلى لبيروت عام ١٩٨٢ ٠٠

** لقد عبر عن الواقع العربى فى لبنان بنفس القدر من الحب والحماس والتعاطف الذى تشى به قصائده عن قضايا مصر وفلسطين والشام والعراق ٠

– فى قصيدته عن الحرب الأهلية اللبنانية " لبنان يحترق "(٦٧) يقول :

لُبنــانُ ٠٠ أفدِى بالعِدى لبنانــا !
الــنــار تلتهــم الجِنــان الآنـــا !
الأَهْلَ٠٠والأرْزَ المسافرَ فى الشذا
والكرز ٠٠ والأعناب ٠٠ والريحانا
لهفى علــى البستان ! أيــن ربيعُهُ
صــار الــربيعُ حــرائقاً ودُخــانــا

*

آهٍ على قلــب العــروبــة داميًــا
مــا أحرق الطفلَ الجميلَ سوانا
إنَّــا تــركنا النــار تَعْدُو نحــوه
وتحــاصــر الأزهــارَ والأغصانا
وتداهـــم الأطيار فى أعشاشها
والــربـــوة الخضراء والوُديانا
حتى كأن الأرض ليست أرضنا
والسابحَ الفوَّاحَ ليــس شذانــا
لبنان مـــاذا قــد دهى أبناءَها

وعلى امتداد المَشرِقَيْنِ دهانـا
إن الثكالى الـبـاكيات نساؤُنـا
والـنـازفين على الثرى قتلانا !

** فى تلك القصيدة وصف مأساة الحرب الأهلية ٠٠ وأدان العرب الذين وقفوا موقفا سلبيا من الكارثة ٠

** وفى قصيدته الطويلة التى صدرت فى ديوان مستقل " بيروت تحت الحصار "(٦٨) يتحدث الشاعر عن الحرب الأهلية اللبنانية، وعن العملاء الذين أشهروا أسلحتهم فى وجه القوى اللبنانية الوطنية الشريفة ٠

البغايا وراء «الكواليس» يَصْبُغْنَ أَوْجُهَهُنَّ،
ويرقصن فى عُلَب الليلِ،
ثم يضاجعن جُنْدَ «المِلِشْياتِ» ٠٠
فى الصُبْحِ يَشْمَتنَ بالشهداءِ ٠٠
يُزَغْرِدْنَ فى ساحة الذَّبْحِ ٠٠
بيروتُ موحشةٌ ٠٠ والزمان جديبْ !

** وفى غضبه يصف الشاعر بيروت بأنها قد أصبحت حانة وخيمة للهو وفيها من القوى العميلة التى يمكن أن تسلم أبطالها وحدودها للعدو ٠

آهِ بيروتُ ٠٠
يا حانَةَ الشرقِ ٠٠ يا خيمةَ اللهوِ ٠٠
هل تُسْلمين الرجالَ لهمْ،
مثلما أسْلَمَ الجبناءُ الحدودْ ؟
أم تصيرين صفّين يقتتلانِ
ورايةُ «دواودَ» فوق السُّقوفْ ؟

أم تصيرين أُمًّا
تَخبِّئُ غِلْمانَها خَلْفها وتردُّ السيوفْ ؟
فيهبّ لكى يفتديك الرِّجالُ البواسلُ،
تصبحُ كلُّ الينابيعِ ناراً ..
وتصبح كل الشجيرات ناراً ..
وكلُّ الجبالِ .. وكل الورودْ ..
يُولَدُ الفجرُ ثانيةً ..
تولد الأرض ثانيةً ..
يولد البحر ثانيةً ..
يولد الوطنُ العربىُّ الجديدْ ..

** ويسأل الشاعر ما ذا عساها تقدم بيروت فى هذه المحنة لنفسها وللوطن العربى هل تقدم غار الصمود والنصر أم وثيقة العار والخيانة ؟

" إيه بيروت يا ملتقى الهاربينْ
هل لقلب فتاك المحاصرِ
أن يسأل الآن وهو يموتْ :
ما الذى سوف تهدين للوطن العربى الصموتْ ؟
أهو العارُ ؟
أم هو عقد من الغار والياسمينْ ؟!

** ويصف الشاعر فى ذات القصيدة اكتساح القوات الإسرائيلية لجنوب لبنان ويسأل ما الذى سوف تعطيه لبنان فى زمن الحصار :

هل هو الفرس العربى الجموحُ الذى

يعبر الآن جسر الغيوبْ ؟
أو هو السُّمُّ حتى نموت بأيدى عواهرنا
لا بأيدى اليهودْ ؟!
والجنوبُ ٠٠ الجنوبْ
أين منا الجنوبْ ؟
داهمته خيول الغزاةِ
فما انتفضت فى العروق الدماءُ
وكل العواصم باردةٌ كالجليدْ !

** ويهاجم الشاعر الأنظمة العربية التى لم تساند لبنان ومن بينها الحكومات التى رغم رفضها السلام مع إسرائيل وتكوينها جبهة أطلقت عليها اسم " جبهة التحدى والصمود "، إلا أنها لم تفعل شيئا، وعندما تعرضت لبنان للغزو لم تستطع ان تشاركه المقاومة أو مساندته فى الحربْ:

والبلاد التى أغمدت كلَّ أسيافِها ٠٠
وبلادُ التحدى ٠٠ بلاد الصمودْ
لم تحاربْ ٠٠
ولم ترتفع فوق أبراجها الخاوياتِ البنودْ ٠٠
لم تقل كِلْمةَ فى وجوه الطغاةْ ٠٠
إيهِ يا امرأة الأكرمينَ :
متى يثأرونَ
إذا لم يهبوُّا وأنت تساقين فى القيدِ
تحت سياطِ الزناةْ ؟!

** وفى القصيدة مقاطع عديدة تتناول الغزو الاسرئيلى وحصار بيروت الذى كان القصد منه أساسا قتل وأسر أبطال المقاومة الفلسطينية المحاصرين فى بيروت أو طردهم منها على الأقل :

كان جيش يهوذا يحاصر بيروتَ
والشمس مائلةٌ للمغيبْ ..
.....

" مشهد على الحدود "
الصغار يمرون خلف سياج الحصارِ ..
فلسطين آخر أعلامها فوقهمْ ..
يهتفون لها
لا تفرّقهم طلقاتُ الرصاصِ
ولا صرخةُ الرعد فوق دماءِ النبيِّ الغريبْ ..
.....
(يشحذون السيوفَ على باب محبوبتى ..
وأنا فى المنافى البعيدةِ ..
أعزلَ فى التيهِ ..
مُحْتَضَرا فى العراءْ ..
والرفاق الأوائلُ
صارو طيوراً تُحَلِّقُ آمنةً فى حُقُول السماءْ ..
أو نخيلا كأنه على حافة النهرِ ..

أو شجراً ضاحكاً فى مدى الكبرياءْ ..
أو صفوفاً من المرسلينَ
يَزُجُّ بهم فى الغياهب، جندُ القياصرِ .. والأدعياءْ)

وفى الجزء الأخير من القصيدة يدعو الشاعر بيروت للمقاومة الباسلة حتى لو سقطت بإباء وشمم، ويحذرها من الاستسلام مهما كانت مغبة القتال، لأن هذه المقاومة الباسلة وهذا الموت المشرف كفيلان بأن يخلدانها، بل ويبعثانها من جديد هى والوطن العربى المحتضر :

استحيلى جبالا من الصخرِ ..
أو لهباً أبدِيًّا يشوِّه وجهَ الغزاةْ ..
استحيلى غماماً يمرُّ،
فيوقظ فى أرضنا الشهداءَ ..
ويَبْعَثُ أبطالنا من جديدْ ..
يخرجون من الموتِ للموتِ ..
تخفق راياتنا فى الأعالى ..
وتندلعُ النارُ خلف النشيدْ ..
.....
.....
آه لم يأتِ فرسانُنا .. والتتار هُمُ القادمونْ !
قادمون .. وسوف تكونين فى ساحة الصَّلْبِ،
قبل الصباحْ !
فاستعيدى التميمةَ من صهوةِ الريحِ

ثم اخرجى للذئابِ ٠٠ اخرجى لهمُ بالسلاحْ !
لا تقولى لنا خُطبةً فى الوداعِ ٠٠
ولا تكشفى عن جراحِكِ ٠٠
لا تكشفى للعيونِ مواضعَ طعنِ الرماحْ !
آهِ بيروتُ ٠٠
لا تقتلى بالبكاء جمالَ الصمودْ ٠٠
لا ٠٠ ولا تنكرى روعةَ الموتِ بين خيول التَّتَرْ ٠٠
كنتِ تافهةً فى الحياةِ،
فكونى على قَدْرِ هيبةِ هذى النهايةِ ٠٠
كونى على قدر هذا الخَطَرْ !
لا أريدك راقصةً – مثلما كنتِ – رافلةً فى الحريرْ ٠٠
لا أريدك سَلَّةَ فاكهةٍ أو نقودْ ٠٠
هذه لحظةُ الموتِ !
والموتِ تحت حراب لصوص اليهودْ !
فلتصيرى رياحاً تُزَمْجرُ ٠٠
نارا تدمِّرُ ٠٠
أنشودةً فى حناجر فرساننا القادمين من الغَيْبِ
فوق جيادِ القصاصْ ٠٠
طفلةَ البحرِ،
والجبل المستحمِّ بماءِ الزَّهَرْ :
إننى أسمع الخيلَ آتيةً ٠٠ والرصاصْ ٠٠

فاطلعى فى شموخ المنونِ ..
ابرزى فى الشروق الأخيرِ، مُجَلَّلَةً بعبيرِ الشهيدْ !
.....
إيهِ بيروتُ
كيف سألقاك يا نجمةَ الليلِ
فى لوحة الفجر زنبقةً منَ دماءْ ؟
ولماذا وقد هطل الموتُ، لا أحتويكِ
وأمسح دمعَكَ فى لَحظَات احتضارِ الضياءِ،
وأختارُ أن تسْلَمى بالفِرارْ ..
ولماذا أحرّضكِ الآن كى تخرجى للمَنِيَّةِ ..
كى تخرجى للقاء التارْ ؟
آهِ .. إنى أريدك أن تسقطى فى إباءٍ،
ولكن قلبى يموتْ !
.....

** لقد عبرت تلك القصيدة أفضل تعبير عن مأساة الحرب الأهلية اللبنانية، واكتساح اسرائيل للبنان، وحصار بيروت ثم اقتحامها والوصول إلى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين خاصة مخيمى " صبراً " و" شاتيلا "، وتعاون القوات الإسرائيلية مع عملائها من اللبنانيين فى المذابح التى دارت فى المخيمين . كان طبيعياً لشاعر يؤرقه الهم القومى، ويعشق لبنان، ويدافع عن الحق العربى الضائع فى فلسطين، ويتألم للمذابح التى تعرض لها الأهالى العُزَّل من الفلسطينيين فى بيروت – بهدف إلقاء الرعب فى قلوبهم حتى يضطروا لإخلاء المخيمات والهروب منها بل ومن بيروت كلها – ويقف إلى جانب أبطال المقاومة الفلسطينية المتمركزين فى لبنان، كان طبيعيا لمثل هذا الشاعر أن ينفعل هذا الانفعال ويكتب تلك القصيدة الزاخرة بالمشاعر

القومية والإنسانية التى ألهمته إياها تلك الأحداث الرهيبة ٠ لقد تكشفت بجلاء المؤامرة الإسرائيلية التى شارك فيها عملاء إسرائيل بلبنان والقوى اللبنانية الرافضة للوجود الفلسطينى فى لبنان والساعية لطرد الزعيم الفلسطينى الراحل ياسر عرفات ورجال المقاومة الفلسطينية من لبنان، والتى شاركت فى مذابح المخيمات الفلسطينية وعرفها العالم تفصيلاً بعد ذلك (٦٩)

** كذا فإن الواقع السورى بهزائمه وصموده قد أوحى للشاعر عدة قصائد تناولت هزيمة ١٩٦٧ والوحدة السورية المصرية (١٩٥٨) ثم الانفصال (١٩٦١) ثم تعرض دمشق للحصار وللضغوط الأمريكية والإسرائيلية ٠ كما وجد تعرض شاعر سوريا الكبير بدوى الجبل للنفى صدى فى شعر فؤاد طمان، وهكذا ٠ وإننا لنجد تعاطفا بل عشقا للشام فى أعمال الشاعر الإبداعية ٠ وقد أشرنا من قبل لقصيدة " كلاسيكية الشام " التى أهداها الشاعر لبدوى الجبل وأشار فيها إلى نفيه ومطلعها :

سقى الله شـط اللاذقية مثلما
تمنى فتاها وهو يغشى المنافيا

** وهى القصيدة التى أشار فيها إلى الخطر الإسرائيلى مشبها إياه بجيش المغول الضارى ٠٠ والتى تحدث فيها عن الحروب الإسرائيلية السورية وذكر فيها رفاق سلاحة شهداء معارك الجولان ٠ فقد كان الشاعر ضابطا كما بينا فى صدر هذا البحث فى " التمهيد " وحضر حروب ١٩٦٧، والاستنزاف، وحرب أكتوبر المجيدة، إلى أن استقال عام ١٩٨٢ ٠ يقول الشاعر :

سـلامـا سـلامـا ٠٠ يـا دمـاءً لَثَمْتُـهـا
هناك على " الجولان " ٠٠ وانهرتُ باكيا
رفـاق سـلاحـى الساكنـون بخـافقى
وأصحاب درب كـان بالأمـس زاهـيـا
وعـدتهمـو بالثأر والمجـد والعـلا

وأطيافهم فـــى الغيـــم تمشـى أماميا
سـلامـــا سـلامـــا يـــا أَحِبِّـــاءُ إننـــى
على العهد بـــاقٍ ٠٠ أستحث البـواديـا

** وفى ختام القصيدة يعد بالصمود وقتال التتار إلى أن تعود دمشق أميرة للشمال وتقام الأفراح :

سنصمـــد فـــى وجـــه التتـار وننثنى
مع الشمس للحصن الذى بات خاويا
نتـــوج حسنـــاء الشمـــال أميـــرةً
ونهتـــف يـــا فيحـــاء زُفـى الأغانيا (٧٠)

وأما دمشق التى تعرضت للحصار بعد سقوط بغداد واحتلال الولايات المتحدة لها فقد ألهمت الشاعر قصيدته " دمشق تحت الحصار " التى كتبها وقلبه يشتعل قلقاً عليها ويخشى من امتداد العدوان على بغداد إليها ٠ وتتكون القصيدة من عدة لوحات ٠ فى اللوحة الأولى يصور الشاعر دمشق بما عرفت به بيوتها وساحاتها من احتفاء بزهور الفل والياسمين وقصائد الشعر، والغناء، ويشير للمد الوحدوى الذى نتجت عنه وحده مصر وسوريا سنة ١٩٥٨، وللعاطفة القومية العربية :

مضى لدمشقَ ٠٠ وفى إِثْرِهِ مضت القُبَّراتْ ٠٠
وسافر خلف قصائدِهِ شجرُ السَّرْوِ، والوردُ،
واندلعت فى المدى الأمنياتْ ٠٠
٠٠٠٠٠٠٠٠
دمشقُ !
وهذا هو الفُلُّ يَغمرُ ساحاتِها بالشذا والحنينْ ٠٠
ويلتف من حولها الياسمينْ ٠٠

يحيط بغُوطتها، والبيوتِ التى لا تَمَلُّ
قصائدَ «مِهْيارَ»، أو شدوَ «فيروزَ» ..
دافئةً بهوى العاشقينْ ..
.....
سعيداً هو الآن يعبر أزمنة الحب والذكرياتْ
ويجهل ما خَبَّأته المغاراتُ فى «قاسيونْ» !

(وهو فى الشطر الأخير يشير إلى خطر الانفصال الذى حدث بالفعل عام ١٩٦١)

** وفى اللوحة الثانية يتحدث عن انفصال سوريا عن مصر، ومقاومة حلب له (وكانت آخر قلاع الوحدة التى سقطت فى أيدى الانفصاليين) . ويقول إن المدافعين عن الوحدة هناك كانوا يضحون بأنفسهم لتستمر الوحدة العربية وهى قلعة العرب وملاذهم الأخير فى مواجهة أعدائهم :

مضى – والبيارق تدهسها الخيلُ – صوبَ «حَلَبْ»
مضى مسرعاً فوق متن الرياحِ ..
وفتيانها حول قلعتها يفتدون العربْ ..
فياليته يدركُ الصامدينَ ..
ويذكى مع الحالمين لهيبَ الغضبْ ..
ويا ليت قلعتَهُ الباقيةْ
تَجُوزُ الحصارَ .. وتشمخُ .. تشمخ للسحب العاليةْ ..
هُمُ الآن والموتُ وجهًا لوجهٍ ..
يموتون كى لا تمرَّ القوافلُ
من طرق الشمس للهاويةْ ..

وكى لا يزولَ الملاذُ الأخير لأطفالهمْ ..
الملاذ الأخير إذا عبر النهرَ جيشُ المغولِ
ليكتسح الضفة الثانيةْ ..
.....
دروعُكِ أفئدةُ العاشقينَ !
فلا تَهِنى يا نبيةَ هذا الزمان الأخيرِ،
وإن طاردتكِ النصالُ ..
وإن جثم الموت فوق السحبْ ..
تعالَىْ إذا أسدلوا الليلَ،
عَلِّىَ أستولد الفجرَ فوق فِراشِكِ ..
لا .. لا تموتى قُبَيْلَ المخاضِ ..
لِدِى !
أنتِ سِرِّى الوحيدُ ..
لِدِى .. إننى راجفُ القلبِ ..
منتظرٌ صرخةَ المستحيلِ
هنا عن كَثَبْ !

** إن هذا المقطع السابق يقطع بإيمان الشاعر العميق بالوحدة العربية وبأنه كان يعلق عليها الآمال الكبار .

** وفى اللوحة الثالثة يعلن الشاعر سقوط قلعة الوحدة .. (بانفصال ١٩٦١) ثم يتحدث عن غزو الأمريكيين للعراق (بحجة إسقاط نظام صدام حسين)، ويصور جنود

العراق القتلى، وأسر الحرائر، والدمار الذى لحق ببغداد، والأعداء (المغول) الواقفين على ضفة نهر الفرات يسقون خيلهم من مائه ويرفعون ألويتهم عليه حيث تصطف قواتهم المسلحة :

تَهَدَّمَتِ القلعةُ .. الحُلْمُ !
لم تبق إلا ظلالُ المشانقْ !
وجاء الغدُ المكفهرُّ ..
الجنود وراء الحدود على السور قتلى ..
الحرائر فى الأسْرِ ..
بغداد صارت حطامًا ..
ستذرُوهُ هذى الرياحُ ..
المغول على ضفة النهرِ،
يسقُون خيلَهُمُ من نميرِ الفراتِ،
ويصطف جندهُمُ من وراء البارقْ ..
.....

** أما اللوحة الأخيرة فهى لدمشق وهى تحت الحصار، تستعيد سيوفها من القبو، وتبحث لصغارها عن قلعة بعد أن تهدم الحصن المنيع (الوحدة العربية) حيث لا ينفع الندم، ولم يتبق إلا الخروج لملاقاة الغزاة الخارجين من دماء العراقيين :

دمشق الجمليةُ تذرفُ أعينُها الدمعَ ..
ها هى ذى تستعيد السيوف من القبوِ ..
تبحث عن قلعةٍ

ليلوذَ الصغارُ بها ..
عندما يعبر الموتُ كلَّ الجهاتْ !
ولا وقتَ للندمِ الآنَ !
لم يبق إلا الخروجُ إلى الغيبِ ..
إلا الطلوع على الخارجين لنا من دماء الفراتْ !(٧١)

** لم تكن قصيدة " دمشق تحت الحصار " هى الوحيدة التى عاش فيها الشاعر مأساة بغداد وعبر فيها عن سقوطها .. بل تعددت قصائده عنها، من ذلك قصيدته " وحيدة فى بغداد "، وفيها يتحدث عن الفتاة التى فقدت كل أهلها تحت أنقاض بيتها المهدوم بفعل الغارات الأمريكية، ووقفت ذاهلة لا تنطق بينما الحرب الأهلية دائرة فى الشوارع والعشائر والقبائل منقسمة على نفسها وبعضها يعاون المحتل بحجة السعى للسلام :

الفتاةُ التى أصحبت فجأةً وحدَها،
فوق أرصفة العالَم المتوحشِ،
ذاهلة .. لا تردُّ السلامْ ..
كل شئ يروِّعُ هذا الفؤادَ الوديعَ ..
من الطَّلَقات المميتةِ حتى انتفاض الحَمامْ ..
بيتها كومةٌ من حجارٍ ..
وأحبابُها كلُّهم تحتها .. وتصاويرُها فى الطفولةِ،
والقطتان اللتان تنامان فى حضنها كل يومٍ،
وطائرُها الذهبى الذى عَلَّمَتْهُ الكلامْ ..
صار بيتُ الأحِبَّةِ قبراً ..

وبغدادُ مقبرةً للغزاةِ وللأهلِ !
صارت وحيدةْ ..
والعشيرة غارقةٌ فى دماها .. وكل فتًى قاتلٌ أو قتيلْ !
كلهم يطلق النار .. إخوتها والدخيلْ ..
من يكون الملثَّمُ ؟ ..
من يدرك السرَّ ؟ من يضع الآن فى ردهات الغزاةِ
خرائط أرض العراق الجديدةْ ؟!
لم يعد كل هذا يُهِمُّ الطَّريدةْ ..
هى ذاهلةٌ لم تزلْ ..
لا تجيبُ .. ولا تسأل العابرينَ ..
ولا تسكب الدمع فوق النيامْ ..
فى جحيم القنابل تحترق الآن بغدادُ ..
فى خيمة التتر القادمين شيوخُ العشيرةِ ينتظرونَ ..
خذوا الآن تلك الفتاة الوحيدةَ
للموت أو للجنون الأخيرِ ..
وعودوا لخيمة «جنكيز خانَ» ..
لكى تعزفوا من جديد نشيد السلامْ !(٧٢)

** وقبل القصيدتين السابقتين كتب الشاعر قصيدته " عدنان " وأهداها لصديقه العراقى عدنان الركابى الذى عاش فى منفاه بانجلترا مطاردا من نظام صدام حسين، تاركا أمه وعشيرته فى بغداد، ثم فوجئ بحصار القوات الأمريكية لعاصمة بلاده التى

تعانى فى الوقت نفسه من ديكتاتور يحكمها بالحديد والنار ٠ ويأسى الشاعر لعدنان فى زمن الحصار وهو عاجز عن دخول بغداد ليكون مع أمه ووطنه والمذابح على الأبواب ٠ والقصيدة تصور الفتى وهو يغرق فى لجج البحر ثم ينتشله رفاقه فيهذى باسم وطنه بغداد (ليلى المريضة بالعراق) ويذكر أطفاله الذين تركهم فى المنفى بالشمال وأمه التى تركها بالعراق، وبغداد التى حاصرتها القوات الامريكية من الخارج وديكتاتورها فى الداخل بحرسه المسلح :

كان الفتى يعلو ويهبط فى الخليجِ ٠٠
تَكَسُّرُ الأمواجِ دَلَّ عليهِ،
والزَّبَدُ المحيطُ بَمنْكِبيْهِ على افتراق الماءِ ٠٠
فانتشلوهُ ٠٠
أخرج مِلْحَهُ الجسدُ المُمَدَّدُ فى الرمالِ ٠٠ ودَثَّرُوهُ ٠٠
وكان يسأل عن حبيبٍ فى البعيدِ ٠٠ وأبجديَّتُهُ الفِراقْ :
((لَيْلَى)) ٠٠ أيا ((ليلى)) المريضةُ فى حِمى ((بغدادَ)) ٠٠
لم يعد الحِمى إلا طلولاً ٠٠
تستبيحُ حدودَهُ الجندُ الدخيلةُ !
آه يا ليلى المريضةُ بالعراقْ !
ضِعنا بمفترقِ الرياحِ ٠٠ بكوكبٍ مادت جوانبُهُ ٠٠
فأطفالى على الطرقاتِ فى منفى الشمالِ،
وها هنا جَسَدى النحيلُ، وأمِّىَ الثكلى لديكِ ٠٠
وفى الفراتِ دَمُ العشيرةِ ٠٠ فى الفراتِ دَمى المُراقْ !
ها أنتِ ٠٠ حاصَرَكِ الغزاةُ على الفِراشِ، ورعشةُ الحُمَّى،
و ((نِيرونُ)) المُتوَّجُ بالدما ملِكاً، وفَيْلَقُهُ المُدَجَّجُ بالسلاحِ ٠٠

ونحن والموتُ المراوغ فى سِباقْ !
. . . . . .
هيهات أنسى مشهد الذبحِ القديمَ ..
ومشهدَ الذبحِ الوشيكَ ..
قبيلتى فى الأسْرِ .. والأغلالُ فى قَدَمَىَّ .. يا ليلى
– إذَنْ – من يفتديكِ، وقد دُفِعْتِ لذلك الحبلِ المُدَلَّى،
عند قلعتكِ القديمةِ، ثم شدُّوا حول رسْغَيْكِ الوثاقْ !
حلمى قديمٌ مستحيلٌ قد ركِبتُ له البُراقْ !
وسقطتُ منه لأبحر الظُّلُماتِ ! ثم فتحت عَيْنِى حيث
فاجأنى الرفاقْ !

يبكى الصغارُ الآن فى المنفى ..
سدىً يمشونَ
– مرتعدين فوق الثلجِ –
بَحثًا عن أبٍ خطفتهُ خيلُ الجِنِّ ..
والموتُ المرابطُ قابعٌ ما بين قلبى،
والعيونِ القادمات من الشمالِ،
الضارعاتِ على نهايات الرُّواقْ ! (٧٣)

** وإلى الواقع العربى المعاصر تنتمى أيضاً قصائد كثيرة لفؤاد طمان تتعلق بفلسطين، والمقاومة الباسلة لفتياتها ومنهن الشهيدات الفدائيات، وأطفال الحجارة،

والطفل محمد الدرة الذى قتلته القوات الاسرائيلية عمدا جهارا فى الطريق العام وهو يحتمى بأبيه من رصاصها ٠

** فى قصيدته " نضال " وهو الإسم الحركى للفتاة الفلسطينية " عندليب خليل قطاطقة " التى فجرت نفسها وهى دون العشرين من عمرها فى تجمع لجنود الاحتلال الاسرائيلى الذين قتلوا أهلها من قبل، وكان ذلك وقت أذان العصر بالضبط يوم ١٢ إبريل ٢٠٠٢، فى قلب القدس الغربية(٧٤)، فى هذه القصيدة يقول فؤاد طمان :

أذانُ العصرِ !
قومى يا ((نضالْ)) ٠٠
((تكسرت النِّصَالُ على النصالْ)) !
هَبينا قُبلةً عَجْلَى ٠٠
ومرى مثل وَمْضِ البرقِ مسرعةً ٠٠
لتخترقى الدُّخَانَ، وتثأرى من قاتليكِ،
وتعتلى عرشَ الكمالْ !
**

طَلَعْتِ كزهرِ ((نَيسانَ)) الضحوكِ ٠٠
ومثلَ شمسٍ جمَّلَتْ أفْقَ النهارِ ٠٠
تركتِ خلفَكِ كلَّ ما فى الأرضِ من وردٍ ٠٠
وموسيقى ٠٠ وطيرٍ – لم تعودى تسمعين غناءَهُ –
وجعلتِ من جسدٍ جميلٍ، عاطرٍ بشذا السماءِ،
قنابلاً تفدى البلادَ ٠٠ فآه يا زينَ البناتِ
تَفَجَّرِى ٠٠ كى لا يمروا بالجنازيرِ الثقيلةِ
فوق أكوامِ الصغارِ ٠٠

تَفَجَّرى ·· موتٌ بموتٍ ·· لا مفرَّ وقد تَدَثَّرَتِ
المدينةُ بالدماءِ ·· وباركت كل المعابدِ قاتلينا ··
والملوكُ تدثروا بالصمتِ ··
والبؤساء من أهلى وأهلِكِ يُذْبَحون أمام أعينهمْ ··
فلا تمتدُّ أيديهمْ
لتمنعَ عن رقاب الأبرياءِ سيوفَ جند الاحتلالْ !

لتفدينا إِذَنْ يا رَّبةَ الغضبِ المُقَدَّسِ ··
ولتمرِّى فى الغمامِ بكل ما فى الكونِ من أَلَقِ الجلالْ !
لتفدى رايةَ الوطنِ المحاصرِ ··
والثكالى الباكياتِ على نعوشٍ وشحتْ بدمِ الشهيدِ ··
ودمعِ أعلام البلادِ ··
لعلَّ خيلَ الموتِ
تفتتحُ الطريقَ إلى الفراديس التى
سرق التتارُ ربوعَها منا ··
ولم يرضَوْا بأن نبقى قريباً فى الخيامِ،
لكى نُروِّىَ قلبَنا منها قليلاً ··
قبل أن نرتاحَ فى جوف الرمالْ !
لتفدينا ! – فديتك يا ابنتى – كم كنتُ أرجو
أن تجوزى عامَكِ العشرين فى الدنيا ··
عسى أن تفرحى يوماً بعُرْسِكِ،

لو تَوَقَّفَت الوحوشُ عن القتالْ !

** وعن غزو العراق للكويت الذى شق الصف العربى وأطاح باستقلال دولة شقيقة وأفسح المجال للقوات الأجنبية للتدخل كتب فؤاد طمان قصيدته " باقة زهر للكويت " ٠ ويستهلها بالحديث عن أمته العربية وعن وحدة المصير العربى متفائلا بمستقبلها رغم المأساة، موضحاً أن الحضارة العربية الإسلامية هى حضارة الحب والتسامح تهتدى بهدى الله ٠٠ يقول :

كويتُ ٠٠ أنا الفتى الآتى إليكِ بسر مولاتى
تضيىءُ الكون ٠٠ أو تغدو لهيبا فـى المُلِمَّاتِ
وحارسهـــا صلاحُ الدين بـــاقٍ فوق ضفاتى
ومـــن نجـــد لتطوان سيمحو ليلنـــا العاتـــى
وفـــوق جبالها يمضى كمـــاةٌ تحت راياتـى
وحـــور ســـوف يعزفـــن النشيد الباقىَ الآتى
لينهمـــرَ الـربيـــعُ وتشـــرق الدنيـــا بـآياتى
أنا العربىُّ – ربَّ الحب – سِفْرُ الله مشكاتى

** ثم يسأل الشاعر عن مصير الأسرى من الكويتيين الذين أسرتهم قوات صدام حسين وقيل إنهم قتلوا فى الأسر، ويذكر بوقفة العرب بما فيهم الكويتيون والمصريون مع العراق عندما غزت أرضه القوات الإيرانية، أثناء الحرب العراقية الإيرانية، وكيف غدر صدام بعد ذلك بالكويت وقام بغزوها منكرا جميلها ٠ ويأسى فى النهاية لقتال الأشقاء الذين كان من المفترض أن يحموا بسيوفهم حدودهم وأمتهم العربية التى يعانى فيها أبناء فلسطين وينتظرون نصرة أشقائهم ٠٠ يقول :

كويتُ ٠٠ كويتُ ٠٠ ما أخبارهم أحفاد عدنانِ
وكيف الأهل والأحباب ؟ كيف الخافق العانـى

وأســرانــا ؟ ألا خبرٌ عــن الأسـرى وجـيـــرانِ
فديناهم بليل الهول تحت سـيــوف طـهــرانِ
فعوجلنا بطعنتهـم قـبيــل هـزيعنــا الـثـانــى
أسائــل أين خيل المجد ؟ أين لواؤنا القانى ؟
أنا فى الأسر مثل الأســد مــن أبناء " كنعانِ "
وسيــدة البــروق تـئــن مـــن قيد وسجــان
أسيفــاهــا ويقتتــلان ؟ يــا للقاتـل الجانى !
ويا للطعنة النجـلاءِ فـــى قلبـــى ووجـدانـــى !(٧٥)

المبحث الخامس
منابع من الأدب العالمى

** قصائد كثيرة لفؤاد طمان، ومقاطع من قصائد وأبيات متفرقة فى شعره، تنتمى جميعاً لتلك المصادر ٠ إن ثقافة ذلك الشاعر الموسوعية تجعله ينهل من معين لا ينضب من آداب العالم ٠ فى شعره إشارات لفيكتور هيجو الفرنسى، وقسطنطين كفافيس اليونانى، ورواية العجوز والبحر لهمنجواى، وقصيدة كاملة مستوحاه من أسطورة " فاوست " التى عالجها جوته الألمانى ومارلو البريطانى، كذا حياة لوركا شاعر أسبانيا وإلياذة هوميروس وأوديسا هوميروس، ورواية موبى ديك لهيرمان ملفيل وغير ذلك ٠

** فى القصيدة التى كتبها فى باريس بعنوان " تجلى المليكة على ضاف السِّين " من ديوان بكائية على البحر، ويخلط فيها العام بالخاص، فيتحدث عن حبيبته، وعن مليكته مصر، وعن باريس الطبيعة والحضارة والجمال ٠٠ فى هذه القصيدة تأتى إشارة عابرة إلى فيكتور هيجو الشاعر الفرنسى العظيم ٠ يقول فؤاد طمان :

أحبُّ زذاذَ المطرْ
وتبعث روحىَ لمستهُ الباردةْ ٠٠
أحب الرذاذ الذى يتنزل كالحُبِّ والشِّعرِ دون انتظارٍ ٠٠
فيغسل " باريس " فى الصيفِ، والمهجة المجهدةْ ٠٠
يبلل وجه " خديجة " وهى تغنىِّ ٠٠
وتسألنى عن هوايَ ٠٠
وتبحث عنِّىَ فى نظرتى الشادرةْ ٠٠
٠٠٠٠٠٠٠٠٠
تعالَىْ إلى ضفةِ " السِّينِ" ٠٠

" هيجو " يمرُّ هناكَ ..

فمن يزعم الآن أن الشموسَ تموتُ ؟

الشموسُ التى قد تغيبُ –

هى الآن وضَّاحةٌ .. سافرَةْ ..

هكذا ظهر فيكتور هيجو فى قصيدة طمان الباريسية .. وكان هذا طبيعيا فقد تحدث الشاعر فى القصيدة عن حضارة فرنسا ومعالمها وطبيعتها الجميلة .. تحدث عن غيوم باريس المفاجئة ومطرها المفاجئ فى صيفها الحار، وعن نهر السِّين الذى يخترقها، ونوافيرها التى تزين ساحاتها الملكية، وزهورها وحدائقها الخضراء وطرقها الشذية، وحَمَامها الذى يملأ الميادين الشهيرة، ومتحفها العالمى " اللوفر " الزاخر باللوحات البديعة والتماثيل الخالدة، وثورتها التى غيرت تاريخ أوروبا وأثرت فى العالم . فكان طبيعياً مع ذلك كله أن يتحدث عن عبقرى من عباقرتها وهو فيكتور هيجو (١٨٠٢-١٨٨٥) الذى يمثل النفس الإنسانية الصافية والضمير الإنسانى المعذب، ويراه فى قصيدته حيا لا يموت، يمر فى ضفاف السين . فالشموس ومنها هيجو أو آثاره الخالدة تغرب وتغيب ولكنها لا تموت بل تشرق من جديد وإلى الأبد .

** والشاعر موفق فى اختياره لفيكتور هيجو فى قصيدته .. ليس فقط لأنه معجب بشخصه وشعره، بدليل انه لم يختر فى شعره رمزاً لفرنسا إلاه، وقرنه بالشمس التى لا تموت وإن غابت أحياناً . الشاعر على حق فى هذا الاختيار .. فهيجو الذى يمثل ضمير الانسانية والصفاء الإنسانى هو من آباء الرومانسية الفرنسية الكبار ومؤسس الموجه الثانية لها، وهو القائل : إن أفق الشعر أفق لا نهائى وأن وراء هذا العالم الحقيقى عالم مثالى متلألىء أمام عيون الشعراء، هؤلاء الذين اعتادوا فى تأملاتهم الخطيرة أن يروا فى الأشياء ما هو أكثر منها، والشعر هو كل ما هو حميم فى هذه الأشياء . ويعلق على هذا القول البديع الناقدان الفرنسيان دانيال لوفرس وجان لوى باكيس الاستاذان المتخصصان فى الشعر الفرنسى بجامعات فرنسا : "

هكذا يوصف الشاعر وكأنه من يعرف كيف يمتزج حسه الحميم بالكون امتزاجا مثمراً (٧٦)

** ومن الأدب العالمى أيضاً استلهم فؤاد طمان قصيدته " لوركا / اللقاء الأخير " ٠

** استلهمها من حياة الشاعر الإسبانى " لوركا " وأفكاره وإبداعه ٠ كان لوركا معجبا بالحضارة الأندلسية التى ازدهرت فى قرطبة، وبصفة خاصة لأنها شاهدت امتزاج الحضارة الإسلامية المزدهرة بالأسبانية، وتلاقت فيها الأديان السماوية الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلامية، دون تمييز بين البشر الذين اعتنقوها ٠ وكان لوركا يحلم بعودة قرطبة أو بعودة الحياة الإنسانية التى يتلاقى فيها البشر ويعمها الخير والمساواة، وكان يعلم كما تُنْبىء قصيدته الشهيرة " أغنية الفارس"(٧٧) بأن قرطبة بحضارتها الإنسانية العظيمة وروحها النبيلة لن تعود مرة أخرى ٠

** من هنا كتب طمان قصيدته وفيها يقول(٧٨)

قابلتُ ((لوركا)) فى المسالك تائهاً
حيرانَ ٠٠ لا يجد الطريقَ لقرطبهْ
وأشرتُ ((للوادى الكبير)) وقد زها
ما أجمل العَبِقَ النميرَ، وأعذبَهْ
اعبُرْهُ ٠٠ واصعدْ ٠٠ تلكمو أسوارُها
وبها المآذنُ فى المشارفِ مُذْهَبَهْ
وعلى المدى ((الزهراءُ)) تلبَسُ تاجَها
وبها ((ابن زيدونٍ)) يغنىِّ ((مذهبَهْ))
لكن ((لوركا)) غارق فى حزنِهِ

يستشرفُ الشرق البعيدَ، ومغربَهْ
ويقول ((قرطبةٌ)) سديمٌ فى السما
هيهات أن يَرْقَى جوادى كوكبَهْ
ستظلُّ نائيةً ٠٠ سأسقطُ دونَها
ويضيع وعدٌ رائعٌ، ما أكذبَهْ !

** ومن الأدب العالمى ايضا استلهم فؤاد طمان قصيدته " لنا سُلَّمٌ للسماء " ٠ فقد بناها على أسطورة " فاوست "، تلك الأسطورة التى كتبت من وحيها روايات ومسرحيات عديدة فى الأدب العالمى أشهرها " فاوست " لشاعر ألمانيا وأديبها الكبير " جوهان جوته، " ومسرحية " الدكتور فاوست " للشاعر والكاتب المسرحى كريستوفر مارلو، وأعمال لتوفيق الحكيم وعلى أحمد باكثير وفتحى رضوان (٧٩)

** وأسطورة " فاوست " التى لها أصل من الواقع و التى ملأت ألوف الصفحات فى الكتابات الأوروبية والأدب العالمى البريطانى والألمانى والمصرى وآداب العالم الأخرى يلخصها الشاعر فؤاد طمان فى هوامش ديوانه الأخير " نبيذ الآلهة " – الذى ملأه بالأساطير وإشارات الأدب العالمى – كما يلى : (٨٠)

" فاوست (FAUSTUS= FAUST) : هو شخص حقيقى حصل على الدكتوراه فى علوم اللاهوت ومارس الطب لكنه عاش مولعا بالسحر والشعوذة ومارسهما منتهباً للذات، مدعيا القدرات الخارقة ٠ قيل إنه خاب ظنه فى العلم والطموح المعرفى لأنهما لم يحققا أحلامه ٠ ففضل السحر، وعقد ميثاقا مع الشيطان يطيعه بموجبه لقاء الخيرات الأرضية الزائلة وتحول إلى فاسق وملحد ٠ وفى مناخ اجتماعى يؤمن بالخرافات اعتقد الناس أنه كان على صلة وثيقة بالجن وأن الشيطان قتله فى النهاية ٠

– اتخذه بعض الشعراء والكتاب رمزاً تدور حوله إبداعاتهم ومنهم الشاعر الألمانى الكبير " جوته " J.W.GOETHE " والشاعر المسرحى الإنجليزى " كريستوفر مالو " " CHRISTOPHER MRLOWE " الذى كتب مسرحيته قبل جوتة٠

" فاوست " جوته – وهى إحدى درر الأدب الألمانى – بنيت على هيكل أسطورة " فاوست " القديمة، وأبرز فيها " جوته " الميل الإنسانى لتحقيق المزيد من القوة والمعرفة وامتلاك الحقيقة بأى وسيلة ممكنة أو مستحيلة من خلال سعى فاوست لتحقيق ذلك بكل الطرق الطيبة و الخبيثة، بما فى ذلك استخدام السحر بل والتحالف مع الشيطان ! وتمثل شخصية الشيطان " مفيستو " التى تحالف معها " فاوست " الرغبة الجارفة فى التمرد على فكرة الإله، وقيم الخير، وهو ما وصل بفاوست إلى النهاية المأساوية فى مسرحية مارلو، حيث أطاع الشيطان من أجل أن يحقق له القوة والمتعة والنفع المادى العظيم ولكنه فى مقابل ذلك امتلك روحه وأخذه معه للجحيم ٠

** وفى المشهد الختامى من مسرحية مارلو – حيث أيقن فاوست أنه ذاهب إلى الجحيم فى نهاية الرحلة وأن هناك من ينتظرانه ليسوقاه إلى مصيره – يبدى أمنيته الأخيرة قائلا " ياروحى : تحولى إلى قطرات ماء صغيرة واسقطى فى المحيط وضيعى إلى الأبد " !(٨١)

** يتناول فؤاد طمان فى قصيدته " لنا سلم للسماء " قضايا الوجود والخير والشر مؤمنا إيمانا يقينيا بأن رحلة الحياة ستتبعها حياة الآخرة حيث يجنى كل انسان ثمار مازرعه فى الحياة الدنيا، فإما الجنة وإما العذاب فى جنهم ٠ والشاعر فى ذاك يستفيد من أسطورة فاوست كما وردت فى الأدب العالمى : فاوست " مارلو" وفاوست " جوتة " فللإنسان موعدان موعد الدنيا وموعد الآخرة ٠ يقول الشاعر :

على كوكب الماءِ موعدنا فى النهار الحزينِ ٠٠

٠٠٠٠٠٠

وفى موطن السرِّ موعدنا الأبدىُّ ٠٠٠٠٠ الخ

(وكوكب الماء هو الأرض وهو ليس تعبيراً مجازياً فاتنا فقط، بل هو تعبير حقيقى أيضاً لأن مياه البحار والأنهار والبحيرات تمثل أغلبية مسطح الكرة الأرضية) ٠

** ثم ينتقل الشاعر إلى شخصية الدكتور فاوست يحدثنا عنها وعن حلمه المستحيل بامتلاك القوة الدينوية الخارقة وكيف أنه باع نفسه للشيطان وهجر العلم واستعان بالسحر، مقابل منحه هذه القوة، وكيف " أن الشيطان امتلكه تماماً "، فى هذه الصفقة، حيث يستطيع ان يأمره بارتكاب أى عمل شيطانى فيأمره مثلا بقتل حبيبته ! بل وقتل النبى المقدس !! :

لفاوست حلم المحالِ،
وقنينة السحرِ ..
ها هو ذا يغلق السِّفْرَ من يأسهِ ..
ويبيع لشيطانه قلبه ليتوجه فى الظلامِ !
لشيطانه السر، والسيف، والجند والقصر فى الربوة العاليةْ ..
لشيطانه أن يدس له السم، مالم يطعْه :
فيقتلَ من طارحته الغرامَ !
ويحملَ رأس النبى المقدس للغانيةْ

والشاعر يقول إن " لفاوست " أن يفعل كل هذا .. ولكن للأقدار أيضاً أن ترد عليه وتعاقبه وتقضى على كل أحلامه :

" له أن يبيع لشيطانه قلبَهُ !
ويُصَعِّرَ خديه للأنبياءِ ..
وللريح أن تضرب الموجَ،
حتى يصير جبالا تداهمُ ساحلَهُ،
وتزيلُ ممالكَهُ،
ثم تحمله ذاهلا لشفا الهاويةْ !

** ثم يصل الشاعر إلى نهاية الأسطورة كما وردت فى مسرحية فاوست " لمارلو " ٠ إنها نهاية فاوست نفسه، فاوست الذى يندم الآن وقد انتهت رحلته فى الحياة وحضر الشياطين ليصطحبوه إلى جهنم، أو إلى العذاب الأبدى، ليدفع ثمن جرائمه فى الدنيا واستجابته للشيطان ٠ وحتى حلمه الأخير بأن تصبح روحه قطرة ماء تذوب فى المحيط حتى لا يحصل عليه زبانية جهنم الذين جاءوا إليه ليصطحبوه للجحيم، حتى هذا الحلم تبدد وأصبح مستحيلا فهو ذاهب للجحيم لا محالة :

لنا سُلّمٌ للسماءِ
و " فاوستُ " يعلم أن أمانيَّةُ مستحيلةْ ٠٠
فلن يأسرَ النجمَ ٠٠
لن يملكَ الشمسَ ٠٠
والرابضون على البُعْد ينتظرونَ،
سيأتونَ ٠٠
لن تُصْبحَ الرُّوحُ قطرةَ ماءٍ،
لتهوىَ ضائعةً فى المحيط فيفلتَ من طالبيهِ !
أنا وابنهُ الشمس نرتقب الصيحَتَينِ هنا ٠٠
ونُغَنّى على شاطئ النور حينًا،
ونغزل عُشا من الزَّهْرِ فوق الثنايا الظليلَةْ ٠٠
وحينا نُكَفّنُ أحبابَنَا،
تحت ومض القنابل والقاذفاتِ ٠٠
ونبكى ٠٠
" لفاوستَ " أن يتمادى هنا الآن فى حلمه المستحيل الأخيرِ ٠٠
له أن يصيحَ كما شاء قبل الختامِ ٠٠

وللطيف أن يتسلل مقتربا منهُ،
حتى اللقاء الأخيرِ،
ويصحبُهُ ..
ربما لا يبوح بأسرارِهِ ..
أو يقولُ له كلماتٍ قَليلَةْ !

المبحث السادس

منابع من التاريخ الفرعونى والعربى والإسلامى والإنسانى

** ينتمى كثير من قصائد فؤاد طمان لمصادر منتسبة لحضارات العالم المختلفة ٠

** يقول أ٠د٠ سعد دعبيس فى هذا الصدد : إن المصادر الفرعونية فى شعر فؤاد طمان " تبدو مثلا فى صورة من أروع صورها فى " وادى الملوك" بالأقصر، على النحو الذى نراه فى قصيدة بعنوان " طيف الملكة " ومطلعها ٠

طَلَعَتْ على وادى الملوكِ حبيبتى
كالشمسِ خارجـــةً مـــن الظلماتِ(٨٢)

** وفى هذه القصيدة يتحدث الشاعر عن مصر المجد والخلود ٠ وقد صورها فى صورة الملكة التى اختفت (رمزا لانحسار الحضارة المصرية ومجدها) ثم أشرق طيفها أمامه فجأة كالشمس حين تخرج من ظلمات الليل البهيم ٠ ويؤكد لنفسه أنه ليس طيفاً عابرا اشتبه عليه بل هو الملكة حقا ٠ ويهيب بها ألا تغيب، ويفسر اختفاءها بأن مثلها لا يقيم مع الذل والهوان ٠٠ إنها لا تقيم على الضفاف إلا وجند المجد من بنيها يتصدرون الساحات :

طَلَعَتْ على وادى الملوك حبيبتى
كالشمس خارجـــة مـــن الظلماتِ

خفق الفؤاد ٠٠ ولـــى فـــؤادٌ مـــولـــعٌ
بشبـابهـا الـبـادى علـــى القَسَمـاتِ

وبـوجهـهـا الفتَّـان رغـم دمـوعـهـا
وشحـوبهـا، وتعـاقـب السنـوات

وهتفـتُ يـا بنت الشموس أنا الفتى
الـولـهـان ٠٠ فـانتظرى على عتباتى

لا تختفى فـى الغيـم، حتـى يهدأَ
القلبُ الولـوعُ ٠٠ وتَمَّحِـى عَبَرَاتـى

ويلوحَ فـى الأفْـقِ الكُماةُ ٠٠ وتُنْزِلى
الغيـثَ الهتونَ ٠٠ وتُوقدى مِشْكاتى !

*

يا من أموتُ فـدا لواهـا : دمدمـى
كالرعد ٠٠ واستبقى الرياحَ ٠٠ وهاتى

كأسـاً تعيدُ لـى الفتـوةَ والـرؤى
مـن نـورك المعصـور فـى الجنَّاتِ

هذا جبينُكِ ٠٠ شامخٌ ٠٠ قـد زانـهُ
تاجُ الخلـودِ ٠٠ وتلكمو رايـاتـى

لا ٠٠ لستِ طيفًا عابراً أو ربة
فَتَّانةً لاقيتُها بسُباتى

بل أنتِ حَقٌّ ٠٠ كالشموسِ وكالمدى
وكأنجمٍ سَطَعَتْ على الفَلَواتِ

لكن مِثْلَكِ لا يقيمُ على الربى
إلا وجند المجد فى الحَلَباتِ !

** ومن الحضارة العربية الإسلامية بالمغرب يستوحى الشاعر بعض لوحات قصيدته

" كلاسيكية المغرب " ٠٠ فيستعيد أمجاد المغرب وشمال إفريقية العربية والإسلامية، ويتمثل القائد الإسلامى الكبير " عقبة بن نافع " الذى عبر بجيوشه شمال إفريقيا وبنى القيروان وجامعها ٠ ويشير لقصة استشهاده عندما فاجأه جيش العدو وهو فى عدد قليل من رجاله فأبى الاستسلام والأسر الكفيلين بإنقاذ حياته، وصاح فى رجاله داعيا إياهم للقتال حتى نيل الشهادة فقاتل وقاتلوا معه حتى استشهدوا جميعاً ٠ يقول الشاعر :

سلامٌ على جنة " الأطلسىِّ "
وهل من هُيامى بها مَهْربُ

هنا عبق المجد – يا لهف مجدى –
ونورُ ممالِكنا المُعْجِبُ

ولـــى أســـوةٌ فـــى فتاهـا الأعـزِّ
ومعـركـــة المنتهـــى تَنْشـــبُ

أنا مثلُ ((عُقْبَـةَ)) ٠٠ لا أنتهـــى
أسيـــرا لـوغـــدٍ ٠٠ ولا أُصْـلَـــبُ

أمـــوت علـــى فَرســـى ضـاربًـا
ولســـت أبـالـــى بـــأن يضربـــوا

** وفى ختام القصيدة يقول الشاعر لأعداء الامة العربية إنهم لن يطفئوا نور الشمس وأن المجد العربى سيعلو نجمه من جديد :

فيا قاتلى الشمسِ لا تحلمـوا
بموت ضياهـا الـذى يَغْرُبُ
سيصعد فى كـل فجرٍ جـديدٍ
فتزهو المشـارق والمغـرب !
وموعدُنا رايةٌ فـــى الأعالـــى
ولحـنٌ سيعزفُـــهُ الكوكـب
ومُـــزنٌ إذا وَعَـدَتْ أنجزَتْنا
فليست تَضِنُّ ٠٠ ولا تكـذبُ !

** تلك كانت أمثلة على انتماء بعض أشعار فؤاد طمان إلى مصادر من الحضارات الفرعونية والعربية والإسلامية، وقصائده زاخرة أيضاً برموز وأحداث وثقافات حضارات العالم المختلفة ٠

المبحث السابع
منابع من التراث العربى والإسلامى

** يقول الناقد الدكتور سعد دعبيس " يختار الشاعر فؤاد طمان أحيانا مصادر وحيه من أسفار الحب التراثية وفى قصائد ديوانه أبجدية النجم البعيد (كما فى ديوانه أشعار من الإسكندرية) نراه يختار من التراث العربى ومن شعراء العصر العباسى مثلا شاعراً شاء له قدره أن يقع فى مأساة حب رهيبة أدت إلى أن يقتل الشاعر العاشق معشوقته ٠ وهو ما يذكر بعراقة هذا اللون المأساوى من تجارب الحب التراثية العربية التى تنتهى بمصرع أحد العاشقين أو مصرعهما معا، على النحو الذى نجد له أمثلة ونظائر فى كتاب " مصارع العشاق " لابن السراج ٠٠٠٠٠ ويتعاطف شاعرنا فؤاد طمان مع صاحب هذه القصة المأساوية وهو الشاعر العاشق " ديك الجن " (الحِمْصِى) الذى قتل حبيبته حين توهم خطأً خيانتها له فى غيابه نتيجة لمكيدة دبرها له ابن عمه الحاقد عليه ٠ يتعاطف طمان مع هذا الشاعر العاشق – وإن راح يلومه – ويجد وجه شبه بينهما، كما يجد وجه اختلاف ٠ فديك الجن قتل حبيبته بسيفه، أما هو فقد قتل حبيبته بهجره إياها وفى ذلك يقول :

كلٌّ بكى حبَّه ٠٠ فاسمع حكايايا
أَبْكَتْكَ ((ورْدٌ)) ٠٠ وأبكتنى ((خُزامايا)) ٠٠ !
بل ٠٠ إن دمعى على ((وردٍ)) همى زمنًا
وقد بكيتُكَ خلْوا من خطايايا ٠٠ !
يا قاتلاً حبَّهُ الأبدىَّ كيف هَوَى
سيْفٌ وقد مَنَحَتْكَ القلبَ والآيا ٠٠!
٠٠٠٠٠٠٠
ظللتُ ٠٠ أزجى عتابى ٠٠ ثم فاجأنى
حُكْم المقادير ٠٠ إذْ بلواك بَلْوَايا ٠٠ !

قتلْتُها ٠٠ ليس بالسيف الذى طُعِنَتْ
وَرْدٌ به ٠٠ بلْ بكأسٍ من حُمَيَّايا ٠٠ !
كأس من الهجْرِ حتى جفَّ خافقُها
وأسبَلَتْ جفْنَها ٠٠ فى قيظ دنيايا ٠٠ !(٨٣)

** وإذا رجعنا إلى هوامش ديوان " أبجدية النجم البعيد " لفؤاد طمان والمنشورة به القصيدة السابقة نجده يذكر فى تعريفه بديك الجن ما يلى : هو الشاعر عبد السلام بن رغبان الذى عاش فى حمص بالشام خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين ووصفه صاحب الأغانى " أبو الفرج الاصفهانى " بأنه شاعر مجيد " ٠ وقد عشق جارية مسيحية اسمها " وَرْد "، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت، وتزوجها وعاشا حياة العاشقين السعيدين ٠ إلى أن تآمر ابن عمه عليها كراهية فى ديك الجن وحقدا عليه، مصورا له أنها تخونه أثناء سفره فقتلها بسيفه ٠ وقيل إنه علم الحقيقة بعد ذلك، وعاش عمره من بعدها نادما باكيا (وقد شبه ديك الجن نفسه بالجِنِّى، وقيل فى تسميته بهذا الاسم إنه لعبقريته كالديك الذى ينبه النائمين من الجن ليصحو !!)(٨٤)

** فى تلك القصيدة (ورد وخزامى) للشاعر فؤاد طمان تتشابه المأساتان مأساة ديك الجن الذى صدق ما أشيع حول حبيبته فقتلها، ومأساة بطل القصيدة الذى صدق ما قاله الوشاة فى حبيبته فهجرها ٠ والشاعر وإن كان قد أَلَمَّ بمأساة ديك الجن إلا أنه لم يسردها ولم يتعمد استيحاءها ولكنها قفزت فيما يبدو إلى ذهنه حين وجد نفسه أو بطل قصيدته فى موقف مشابه فقد صدق الوشاية وهجر حبيبته ثم أكتشف بعد ذلك أنها بريئة براءة " ورد " وأن حسودا مثل ابن عم ديك الجن هو الذى دبر المكيدة التى عصفت بقصة الحب الجديدة :

كانت كوردٍ ٠٠ لها الوجه الصبوحُ ٠٠ لها

القلبُ الذى لم يَذُبْ فى العشقِ لـولايـا
جمليةٌ ٠٠ لم تخن عهدى ٠٠ ولا كـذب
الهوى، هواها، وتحيا فـى حـنـايـايـا
عامان، لم تكُ دنيـاهـا سـوى قُبَـلـى
وريشتى ٠٠ ودواوينـى ٠٠ وذكـرايـا
وكنـتُ مثلَـكَ محسـوداً ٠٠ وفتْنَتُهـا
تُـذْكـى لظى حاسدٍ يغشى زوايـايـا
صَدَّقْـتُ مـا هتفت أفعـى الظلامِ بِـهِ
حتـى تـزولَ – كـوردِ الـوردِ – نُعْمَايا

المبحث الثامن
منابع إلهام من الطبيعة

– تتجلى الطبيعة بصورها وعناصرها ورموزها فى أشعار فؤاد طمان، حيث تحلق النوارس وطيور الماء والبلابل والعصافير وطائر السنونو والحمام واليمام وطائر القطا " والطائر المسحور" والرُّخ، والصقور، والنسور فى سماواتها ٠٠ وفى أشعاره نشم عبير الورد والياسمين والفل والريحان والنعناع، وتلون الزهور المختلفة وأشجار السرو والكافور والصفصاف والجزورين والعشب والنجيل حدائقه الشعرية الغَنَّاءْ ٠٠

– كذا فإن البحر – بصوره ولوحاته، وتنوع ألوانه، وأعماقه، وأمواجه وزبده وصخوره وشعبه المرجانية وكائناته وأصدافه، وموانيه وسفنه وزوارقه ومناراته – يمثل قدرا لافتا من عالم فؤاد طمان الشعرى ٠ إن مظاهر الطبيعة كنز ذاخر لهذا الشاعر وهى مصدر من أبرز مصادر إبداعه ٠

** يقول الدكتور سعد دعبيس : " لعل من أبرز قصائده التى نجد فيها توظيفاً رائعاً لرموز وصور مستوحاة من مظاهر الطبيعة : قصيدة بعنوان ((سيرة الطائر المَسْحُور)) ٠ والطائر المسحور هنا قد يكون الروح أو يكون رمزاً للشاعر وتجربة حُبّه المتوحدة مع الكون كله، السّابحة فى بحار العشق الصوفى :

هــل يكوُن العشْــقُ إلا للــذى ... شــوقُــهُ المشبـوب لا ينطفئُ ؟
وإذا لــم يلتــقِ الجسمـان هــلْ ... يتلاشَــى فــى الغرام الظمأُ ؟
إنِّ مَنْ يَنْفُونَ شوقَ الروح – فى ... عُرْف نُسّاكِ الهوى – قد صَبَأوا

وفى هذه القصيدة نرى الشاعر فى تجربة حُبه الصوفية ينادى بتواصُل مظاهر الطبيعة وتناغُمها :

الفراشاتُ شقيقاتُ الطيور ... كُلُّــنــا يَحْـمِـلُ للظلـمــاء نــورْ
سرُّنا فى الغيب سرٌّ واحدٌّ ... بــاسْمِــه طِـرْنَ إليهــا ونطـيــرْ
والمشاويرُ معًا نقـطعُهـا ... نحْمِلُ الوحى ٠٠ على مرِّ الدهورْ

ورسالات الهوى نَنْثُرُها مثْلما تهدى البساتينُ العبيرْ ٠٠

– ويُعدُّ البحر بكائناته الحسية، بأمواجه وأعاصيره، ونوارسه وطيوره، وكائناته الخفية أيضاً وسحره الجمالى الظاهر والخفى، وطلاسمه وألغازه و((ميثولوجياه))، من أكبر مصادر الطبيعة التى ألهمت الشاعرَ طمان كثيراً من قصائده، ومن ذلك قصيدة ((الحورية)) التى سبقت الإشارة إليها وقصيدة ((مايا والبحر)) وقصيدة ((العراف)) ولا تكاد قصيدة من قصائد ذلك الشاعر تخلو من توظيف لرموزِ وصور مستوحاة من ((ميثولوجيا)) البحر، على النحو الذى رأيناه فى هذا الديوان وعلى النحو الذى سنراه أيضاً فى ديوانه ((بكائية على البحر)) ٠

** لفت مظهر معين من مظاهر الطبيعة وهو البحر كل من كتب عن فؤاد طمان وتجربته الشعرية ٠

** يقول الناقد الشاعر الدكتور فوزى عيسى :

" تتأكد علاقة فؤاد طمان بالبحر من أكثر من زاوية، فقاموسه اللغوى يحتشد بمفردات البحر وصوره ٠ وثمة قصائد تستلهم عالم البحر وتراه مرادفا لعالم الواقع الملىء بالصراع والتناقض، وتارة أخرى تلوذ به باعتباره " العالم البديل " الذى تتحقق فيه " اليوتوبيا " أو " المدينة الفاضلة " المفتقدة فى الواقع

– وفى قصيدة " العودة من مملكة الماء " ما يدل على ذلك : فهى تجسيد واضح لعلاقة الشاعر بالبحر، بحسبانه رمزاً للخلود والخلاص ٠ ومن ثم فهو يلوذ بالشواطئ البعيدة ويصحب كائناته الدنيوية التى تتحدى الفناء والهزيمة ويعبر بها البحر ناجياً بنفسه وقومه، صنيع موسى، منتقلاً بهم من حياة الذل والقهر إلى حياة أكثر أمناً وحرية ٠ يقول فى قصيدته :

بين حين وحينْ
طائر النار يحملنى للشواطئِ ٠٠
أترك خلفى المماليك فوق الجيادِ ٠٠

المجانيقَ حول بيوت الذين يقولون : لا ٠٠
ثم يلقون للنيل أطفالهم فى السلالِ، فقد ينقذونْ ٠٠
٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
ليس هذا أوان الشهادةِ ٠٠
أمضى ٠٠ وأترك خلفىَ قَرْعَ الطبولِ،
اللصوص الجنود،
الجباةَ قساةَ القلوبِ ٠٠
القلوبَ التى تتلظّى بهذا الأتونْ ٠٠
٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
أدخل البحر مُتَّشحاً باللهيبِ،
وأعبر مملكة الماءِ
تحتاطُ بى الكائنات التى تتحدَّى الفناءَ،
وتخرج للموت فى المدَّ،
إصرارها فى الفؤاد ٠٠ وأدمعها فى العيونْ

** وينتقل بنا الشاعر عبر الكائنات البحرية كحورية البحر وفرس الماء والودع الأرجوانى والأسماك والشعب الملونة، حيث تتعايش تلك الكائنات فى هدوء ٠ ولكنه كدأبه فى مزج المشاهد والمقابلة بينها لا يلبث أن يعود إلى مشاهد ((العالم الخارجى)) الحافلة بالتناقض والهزيمة فيقول :

فى غد ينتهى مهرجان الصباحِ الجميلِ،
ونبحر نحو المنار الحزينْ ٠٠
ثم نعبر ((باب زويلة)) تحت حراب المماليكِ ٠٠

نرجع للطرق الضارياتِ ..
ونرجع للصحف الخائناتِ ..
وظلمة ليل المدنيةِ حيث الفؤاد الكسيرُ ..
وحيث الكنارُ السجينْ ..
سنعود نخوض زحام المدينةِ ..
تفجأنا الراقصاتُ بأوسمةِ النيلِ !
والأمهات اللواتى فقدن بمجراه أطفالهنَّ
(يلُحْنَ بثوب الحدادِ الممزقِ)
والأغوات الذين يجيدون نظم المديحِ ..
ولا يقرءون الخرائط فى الريحِ ..
لكنهم يعرفون متى ينحنونْ !(٨٥)

** ويقول الشاعر الناقد فاروق شوشة عن تواجد البحر بصوره ومفرداته فى عالم فؤاد طمان الشعرى :

" لم يستطع شاعرنا – فؤاد طمان – إلا أن يكون وفيا لمفردات عالمة الشعرى صورا وظلالا وطقوسا وإيحاءاتٍ تتمركز من حول البحر، والإسكندرية محبوبة الشاعر المقدسة وركنه الحانى كما كان يقول ناجى عن بيت محبوبته ٠

** والمليكة التى تشاركه الاستماع إلى نبض النشيد القديم هى محور هذا العالم الشعرى الشديد الخصوصية والامتلاء حتى الحافة بعناصر متآزرة تطلق فينا عطر المكان والزمان : النوارس والريح والموانى والطيور والبحر والشطوط والأمواج وعروس البحر، وشطوط الحلم والوعد، وعرش الماء، والإبحار وشق البحر والأنواء والسفن وحور الماء والمنارات والصوارى والقلوع والشراع ٠ يا له من فضاء شعرى تتقافز فيه

القصائد كالنوارس وتزمجر فيه الرغائب كالعواصف حين تحرك أمواج البحر العاتية " ٠

** وفى دراسة أخرى يلفت البحر فى شعر فؤاد طمان الشاعر فاروق شوشة فيقول: " عالم فؤاد طمان الأثير هو عالم البحر، ولغته ومفرداته ومعجمه الشعرى عالم بحرى زاخر ٠

– والبحر عنده لم يعد مجرد بحر ٠ إنه الشاعر فى حقيقته وجوهره، كل منهما تماهى فى صاحبه، فلم نعد ندرك المسافة بين الشاعر والبحر الذى صنعه لنا على عينه وأبدع فى تشكليه والكشف عن صبواته وتجلياته فى إيقاع موسيقى صاخب كالبحر، ناعم أملس كالبحر، مراوغ غير متوقع كالبحر ٠٠٠٠٠٠٠ الشاعر / البحر : يكشف فى شعره عن حقيقته وعن مطلق تماهيه ٠ ليس فى ديوان الشعر السكندرى كله ما يماثل هذا الفناء والتلاشى والذوبان فى حضرة البحر ٠٠

– والأمر عند فؤاد طمان – لمن سيحاول محاكاته وتقليده عصى وصعب فهو كالبحر متغير ومتجاوز، ونحن لا ننزل البحر مرتين، لأنه فى كل مرة يكون قد تغير ! "(٨٦)

** الشاعر الناقد محمد إبراهيم أبو سنة الذى كتب عن فؤاد طمان عدة مقالات لفته أيضاً تجلى البحر فى شعره، وعبر عن ذلك فى كل تلك المقالات يقول أبوسنة فى دراسة بعنوان " فؤاد طمان عاشق الوطن والبحر " :

" يبرز فى شعره ولعه العميق بالبحر ٠٠٠٠ ولا يقف أمام البحر لكى يصف تلألؤه وإنما ليجسد كائنا حيا وملاذا حنونا ومرآة ساطعة بالضوء والجمال والحركة للكون بأسره ٠٠٠٠٠٠ وتتمثل خصوصية الصورة الشعرية عند فؤاد طمان فى هذه الرؤية البصرية الحسية حتى توشك أن تلمس تفاصيلها ٠ فهو مولع بالرسم والمزج بين البصر والبصيرة " [محمد إبراهيم أبو سنة : مقدمات ديوان فؤاد طمان : أشعار من الإسكندرية – ص ١٨، ١٩]

** ويقول أبو سنة فى دراسة أخرى : " ولأن فؤاد طمان يعيش فى الإسكندرية فإن الصور الشعرية التى ترتكز على المفردات المتعلقة بالبحر تأخذ مساحة واضحة وملحوظة فى القصائد "

[محمد إبراهيم أبو سنة – المرجع السابق نفسه ص ١٧]

** وفى هذا الصدد يقول الناقد الدكتور محمد عبد المطلب : " يلاحظ حضور عالم الماء حضورا لافتا فى مجمل شعرية فؤاد طمان، وبخاصة عالم الإسكندرية ٠ وسيطرة عالم الماء قادت هذه الشعرية إلى الإبحار فى بشارة التكوين الأول ٠واللافت أن عالم الماء استحضر بعض التجليات العرفانية التى تدرك ان وراء العالم المحسوس عالم غير محسوس يمكن أن تقاربه مقاربة باطنية دون ان توغل فى الغموض والإبهام "(٨٧)

** ولو شئنا أن نتقصى كل ما كتبه الشعراء والنقاد عن مظاهر الطبيعة فى شعر فؤاد طمان وكيف أنها مصدر رئيسى من مصادر إبداعه لاحتجنا إلى مئات الصفحات لعرضها ولكننا اكتفينا بالحديث المفصل عن مظهر واحد من تلك المظاهر وهو البحر، واكتفينا من الدراسات التى تناولت ظاهرة البحر فى أعمال الشاعر بالقدر الذى سقناه ٠

** ولا يحتمل البحث الماثل ان نعرض كل النماذج التى قامت على عالم البحر فى قصائده ٠ وتكفى فى هذا المجال الأبيات والمقاطع التى وردت فى هذا البحث، ولعل قصيدة " البحر " التى أوردناها كاملة من قبل تمثل تماماً عالم الماء فى شعر فؤاد طمان، فضلا عن القصائد التى وردت الإشارة إليها فى البحث الماثل ومنها : بكائية على البحر – العودة من مملكة الماء – المصيف الغربى – ما أبقت الريح – أبواب البحر السبعة – الحورية – العراف – أوراق الرحلة المرجأة – لوحات الشتاء الدامى – حلم، موعد البحر، هنا علمتك الأسماء – نبيذ الآلهة – لنا سلم للسماء ٠

خاتمة

طوّفت فى هذا البحث بمنابع الإلهام التى أمدت الشاعر فؤاد طمان بقصائده، أو بصور ولوحات ومعان وأفكار أثرت شعره وميزته عن أقرانه ومجايليه ومنحته طابعه الخاص . وقد تبين لي من خلال البحث كم تعددت هذه المنابع تعددا عجيبا ودلت على ثقافة واسعة وخيال غنى . فكان من منابع إلهامه عالم الأساطير الفرعونية والإغريقية والرومانية، والشرقية والغربية بصفة عامة، ورأينا كيف صنع الشاعر أساطيره الخاصة إلى جانب استخدامه أساطير الأولين بمهارة واقتدار . كذا رأينا كيف كان التاريخ الفرعونى والعربى والإسلامى والإنسانى بصفة عامة منبعا ثرا من منابع إلهامه .. وكيف استقى من أحداث التاريخ ماء الإبداع والحكمة .. وكيف ارتدى أقنعة ذلك التاريخ وأسقط أحداثه القديمة على الواقع المصرى العربى والعالمى المعاصر فى نصوص يعبر فيها عن آلام وأحلام وطنه وآلام وأحلام البشر جميعاً .

كذا كانت آداب العالم بما فيها الأدب العربى الحديث والمعاصر، والتراث العربى والإنسانى من منابع إلهامه ..

كما بينت أن الطبيعة كانت من منابع إلهامه متجسدة بصفة خاصة فى البحر بشواطئه وأمواجه وصخوره وطيوره وكائناته الحقيقية والمجازية .

وألمحت إلى ما عدا ذلك من منابع الإلهام كذكريات الطفولة والصبا والشباب وتجربة الشاعر الحياتية بحلوها ومرها .

وأخيراً فقد دل هذا البحث – فيما أظن – على أن إبداع شعر عظيم لا يمكن أن يتم إلا من خلال ثقافة إنسانية رفيعة ومنابع إلهام ثرية من شأنها أن تضيف للقصيدة مقومات التفرد والإدهاش والقدرة على إعلاء قيم الفن والجمال والحق والتأثير فى وجدان المتلقى . والله الموفق .....

۞۞۞

إشارات

[١] انظر :

– " التعريف بالمشاركين " فى ملتقى القاهرة الدولى الثانى للشعر العربى الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة فى مصر (مارس ٢٠٠٩) ص ١٢٠ ٠

– مقال الدكتور / فوزى خضر : فؤاد طمان نجم فى سماء الشعر – المنشور ضمن مجموعة مقالات بعنوان : فؤاد طمان شاعر الإسكندرية الكبير – الطبعة الأولى ٢٠٠٦ من دار السفير (ص ٥٢، ٥٣) ٠

– مطبوعة المركز الثقافى اليونانى بالقاهرة : الدورة الحادية عشر لاحتفاليات " كفافيات" – الطبعة الأولى ٢٠٠٩ ٠

[٢] انظر مقال الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة : حول ديوان أوراق الرحلة المرجأة للشاعر فؤاد طمان [المنشور ضمن مقالات ودراسات لنخبة من الكتاب فى كتاب : فؤاد طمان شاعر الإسكندرية " الطبعة الأولى (٢٠٠٦) عن دار السفير (ص ١٨)]٠

[٣] انظر : د٠ فوزى خضر المرجع السابق ص ٥٢ ٠

[٤] انظر : فاروق شوشة : " فؤاد طمان شاعر الإسكندرية " – (ص ٥–٧) ٠

[٥] انظر : فاروق شوشة : مقال بجريدة الأهرام فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٩ بعنوان " ما أبقت الريح لفؤاد طمان " ص ١٢

[٦] كلمة الشاعر فؤاد طمان عن تجربته الشعرية فى مؤتمر الشعر السكندرى الثانى – مؤسسة التقدم – ٢٠٠٩

[٧] صدرت كل هذه المجموعات الشعرية والمختارات عن دار السفير بالإسكندرية عدا المختار من أشعار فؤاد طمان الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة عام ٢٠٠٩ ٠

[٨] انظر : " قصائد من فؤاد طمان " – مختارات من القصائد الفائزة بجائزة كافيس ٢٠٠٩ (ص ١٠٠) – دار السفير – الطبعة الأولى ٢٠١٠ ٠

[٩] انظر : " قصائد من فؤاد طمان " – المرجع السابق (ص ٦٣) ٠

[١٠] انظر مقال أ٠د٠ محمد زكى العشماوى بعنوان " فؤاد طمان وعالمه الفريد المبتدع " ضمن مقالات ودراسات لنخبة من الكتاب يضمها كتاب " فؤاد طمان شاعر الإسكندرية " (المرجع السابق ص ٤٠، ٤١) ٠

[١١] كلمة الشاعر عن تجربته الشعرية فى مؤتمر الشعر السكندرى الثانى (المرجع السابق)

[١٢] انظر : مقال فاروق شوشة : (ضمن مقدمات ديوان " أشعار من الإسكندرية " – دار السفير – الطبعة الأولى (٢٠٠٨) ص ٩-١١ ٠

[١٣] انظر : د٠فوزى خضر (المرجع السابق : فؤاد طمان شاعر الإسكندرية الكبير – ص ٧١

[١٤] انظر : البحر وقصائد أخرى أرابيك – الطبعة الأولى (٢٠١٠) صـ٥ وما بعدها .

[١٥] فاروق شوشة وآخرون : فؤاد طمان شاعر الإسكندرية المرجع السابق ص ١٠ ٠

[١٦] فاروق شوشة : " ما أبقت الريح لفؤاد طمان " مقال بجريدة الأهرام (المرجع السابق) ٠

[١٧] أ٠د٠ محمد عبد المطلب : " فؤاد طمان شاعر الإسكندرية " (المرجع السابق) ص ١٥ ٠

[١٨] عذاب الركابى وآخرون : فؤاد طمان شاعر الإسكندرية الكبير (المرجع السابق) ص ٨١

[١٩] محمد إبراهيم أبو سنة : " مقدمة مختارات فؤاد طمان المعنونة " : " أشعار من الإسكندرية " الطبعة الأولى ٢٠٠٨ – دار السفير – ص ١٧ ٠

[٢٠] أ٠د٠ محمد زكى العشماوى : فؤاد طمان وعالمه الفريد المبتدع – مقال ضمن كتاب " فؤاد طمان شاعر الإسكندرية " المرجع السابق ص ٢٤، ٢٦، ٢٧ ٠

[٢١] د٠ صلاح عبد الحافظ – دراسات فى شعر فؤاد طمان المرجع السابق ص ٤٣، ٤٥، ٤٧

[٢٢] أ٠د٠ سعد دعبيس – فؤاد طمان شاعر الإسكندرية الكبير المرجع السابق ص ٤-٣١ ٠

[٢٣] أ٠د٠ محمد عبد المطلب وآخرون : فؤاد طمان شاعر الإسكندرية (المرجع السابق) ص ١٥ – ١٦ ٠

[٢٤] فاروق شوشة وآخرون : فؤاد طمان شاعر الإسكندرية – المرجع السابق ص ٣-١١ ٠

[٢٥] محمود عبد الصمد زكريا – ينابيع الإبداع ونبيذ الآلهة (حول تجربة فؤاد طمان الشعرية الاستثنائية) دار السفير – الطبعة الأولى ٢٠١٠ ص ١٢ ٠

[٢٦] محمد إبراهيم أبو سنة : فؤاد طمان شاعر الإسكندرية (المرجع السابق) ص ١٨، ٢٩، ٣٥

[٢٧] أمين سلامة : الأساطير الرومانية واليونانية – مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٨ ص ٩، ١٠

[٢٨] صلاح عبد الصبور : حياتى فى الشعر – مكتبة الأسرة – الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٣ ص ١٣٤ وما بعدها

[٢٩] ينابيع الإبداع ونبيذ الآلهة (المرجع السابق) ص ٢٥ ٠

[٣٠] فؤاد طمان – الأعمال الشعرية الطبعة الأولى ٢٠٠٥ – ص ٣١١ ٠

[٣١] أمين سلامة (المرجع السابق) ص ١٦ – ٢٠ ٠

[٣٢] د٠لويس عوض : فى مقدمة ترجمته " برومثيوس طليقاً " لشلى – المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومى للترجمة) طبعة ٢٠٠١ ص ٨١، ٨٢ ٠

[٣٣] انظر د٠ لويس عوض : أسطورة برومثيوس فى الأدبيين الانجليزى والفرنسى جزء (٢) ترجمة محمد الجندى وجمال الجزيرى المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومى للترجمة)

[٣٤] الأساطير الإغريقية – حسن عبد الغفار – الناشر : دار مشارق – الطبعة الأولى ٢٠٠٩ : سيسيفوس (الصراع الأبدى) ص ١١٧ وما بعدها ٠

[٣٥] د٠سعد دعبيس – المرجع السابق – ص٥

[٣٦] انظر : الفولكلور والبحر – هوارس بيك – ترجمة أحمد محمود – الناشر : المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومى للترجمة) الطبعة الأولى ٢٠٠٣ ص ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦ ٠

[٣٧] الأساطير الإغريقية – المرجع السابق – ص ٧٥ وما بعدها ٠

[٣٨] صلاح عبد الصبور – المرجع السابق – ص ٢٧

[٣٩] صلاح عبد الصبور – المرجع السابق – ص ٢٧

[٤٠] المختار من أشعار فؤاد طمان (سلسلة الإبداع الشعرى المعاصر) – الهيئة العامة للكتاب – الطبعة الأولى ٢٠٠٩ ص ٨٠

[٤١] المختار من اشعار فؤاد طمان (المرجع السابق ص ٣١)

[٤٢] موسوعة الأساطير – المرجع السابق ص ١٩وما بعدها ٠

[٤٣] الأساطير الاغريقية – المرجع السابق – ص٦

[٤٤] فؤاد طمان – أشعار من الإسكندرية – (المرجع السابق) ص ١٤٣

[٤٥] فؤاد طمان – أوراق الرحلة المرجأة – الناشر : السير – الطبعة الثانية (٢٠٠١) ص ٥٨

[٤٦] فؤاد طمان – قصائد من فؤاد طمان (مختارات) – المرجع السابق ص ٨٤ ٠

[٤٧] فؤاد طمان – المرجع السابق نفسه ص ٩٢ ٠

[٤٨] المنجد فى اللغة والأعلام – الناشر : دار المشرق – بيروت (القسم الثانى) : المنجد فى الأعلام – ط /٢١ مجددة ص ٣٧٥

[٤٩] فؤاد طمان – الأعمال الشعرية المرجع السابق – ص ٢٣٦ ٠

[٥٠] أنظر إشارات مختارات الشاعر فؤاد طمان المعنونة : أشعار من الإسكندرية – المرجع السابق ص ١٥١ – إشارة رقم (٤)

[٥١] أنظر ديوان أبجدية النجم البعيد (المرجع السابق) ص ١٠٨ وما بعدها ٠

[٥٢] أنظر ديوان أبجدية النجم البعيد للشاعر / فؤاد طمان (المرجع السابق – ص ٦٥ وما بعدها والإشارتين الواردتين به رقمى ٨، ٩ – ص ١١٥)

[٥٣] معجم مجمع اللغة العربية: الوسيط – الطبعة الثانية ١٩٧٣ ص ٤٥٢

[٥٤] أ٠د٠ سعد دعبيس (المرجع السابق) ص ١٠، ١١

[٥٥] أ٠د٠ سعد دعبيس – المرجع السابق ص ٢٩، ٣٠

[٥٦] انظر فؤاد طمان – الأعمال الشعرية – هوامش ديوان بكائية على البحر ص ٣١٠،٣١١ ٠

[٥٧] المرجع السابق ص ٣١١ ٠

[٥٨] فؤاد طمان الأعمال الشعرية (المرجع السابق) ص ٣١٠ ٠

[٥٩] أ٠د٠ سعد دعبيس المرجع السابق ص ٣٧، ٣٨ ٠

[٦٠] انظر أيضاً : قصيدة المدينة لكفافيس وقصيدتى فؤاد طمان : "ما أبقت الريح"، و"بكائية على البحر" فى مختاراته " قصائد من فؤاد طمان" – المرجع السابق ص ٣٦، وما بعدها وص ٢٦ وما بعدها

– وانظر أيضاً ما كتب عن كفافيس كشاعر سكندرى يونانى كبير فى : " ديوان كافافيس شاعر الإسكندرية " – ترجمة د٠ نعيم عطية – الطبعة الأولى ١٩٩١

– قسطنطين كافافيس (قصائد) – ترجمة د٠ محمد حمدى إبراهيم – الطبعة الأولى ١٩٩٢ – الناشر : مطبعة أطلس

– " شعرية كافافيس – جريجورى جوزدانيس ترجمة وتقديم رفعت سلام – الطبعة الأولى ٢٠٠٠ المشروع القومى للترجمة ٠

[٦١] فؤاد طمان – هوامش الأعمال الكاملة (المرجع السابق) ص ٣١٥ ٠

وانظر أيضاً أمل دنقل الأعمال الكاملة (الطبعة الأولى) ٢٠٠٣ الناشر المجلس الأعلى للثقافة صـ٣٢١ وما بعدها وصـ ٤١٩ وما بعدها .

[٦٢] الأعمال الكاملة للشاعر أحمد عبد المعطى حجازى – الناشر دار سعاد الصباح – ١٩٩٣ – ص ٥٣٣ وما بعدها ٠

[٦٣] فؤاد طمان – ديوان مدى للورد والرصاص الطبعة الأولى ٢٠٠١ الناشر دار السفير صـ٤٨ وما بعدها٠

[٦٤] فؤاد طمان – أشعار من الإسكندرية (المرجع السابق) ص ١٣٩ ٠

[٦٥] فؤاد طمان – بيروت تحت الحصار الناشر دار السفير الطبعة الثانية ٢٠٠٠ صـ٧ وما بعدها٠

[٦٦] انظر : ألان مينارغ – أسرار حرب لبنان (من انقلاب بشير الجميل إلى حرب المخيمات الفلسطينية) – الناشر : المكتبة الدولية – بيروت – الطبعة الأولى (٢٠٠٦) ٠ وفى هذا

الكتاب الهام روى المؤلف وهو المراسل الحربى الكبير لإذاعة فرنسا فى العالم العربى والذى أقام فى لبنان فترة تناهز خمسة عشر عاما روى كل أسرار الحرب الأهلية اللبنانية والاكتساح الاسرائيلى للبنان ومذابح المخيمات الفلسطينية وتعاون ميليشيات حزب الكتائب مع القوات الإسرائيلية فى مذابح مخيمى صبرا وشاتيلا الفلسطينيين والتنسيق السرى بين الكتائب وإسرائيل الذى تبين أن جذوره ضاربة فى أرض الواقع اللبنانى منذ ١٩٥٨ !!، وتلاقى الطرفين ومعهما بعض القوى اللبنانية الأخرى مثل جيش الجنوب بقيادة اللبنانى سعد حداد على التآمر لطرد أو قتل أو أسر قوات المقاومة الفلسطينية فى لبنان إلى أن تم ترحيلها من بيروت (وعلى رأسها الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات) الذى جرى التخطيط لاغتياله قبل مغادرته ميناء بيروت ولكن المحاولة فشلت ٠

[٦٧] أشعار من الإسكندرية (المرجع السابق) – ص ٦٥، ٦٦

[٦٨] فؤاد طمان – ما أبقت الريح دار السفير الطبعة الأولى ٢٠٠٧ .

[٦٩] فؤاد طمان – ما أبقت الريح ص ٣٠ وما بعدها ٠

[٧٠] المرجع السابق نفسه ص ٥٧ ٠

[٧١] المختار من أشعار فؤاد طمان (المرجع السابق) ص ٧٧ وما بعدها ٠

[٧٢] فؤاد طمان : أبجدية النجم البعيد (المرجع السابق) ص ٥٨ – ٦٢

[٧٣] مدخل إلى الشعر الفرنسى الحديث والمعاصر – ترجمة رجاء ياقوت – الناشر : المجلس الأعلى للثقافة – (المشروع القومى للترجمة – الطبعة الأولى – ٢٠٠٤ ص ٤٩)

[٧٤] كلمة الشاعر فؤاد طمان عن تجربته الشعرية فى مؤتمر الشعر السكندرى الثانى (المرجع السابق) ٠

[٧٥] " أشعار من الإسكندرية " (المرجع السابق) ص ١٠٤ وما بعدها ٠

[٧٦] انظر أسطورة فاوست بين مارلو وجوته والحكيم وباكثير وفتحى رضوان – نهاد إبراهيم – الناشر: المجلس الأعلى للثقافة – الطبعة الأولى – ٢٠٠٩]

" الدكتور فاوستوس " كريستوفر مارلو – ترجمة بسام بدران – دار العائدى – دمشق – الطبعة الأولى ١٩٩٨

[٧٧] فؤاد طمان – نبيذ الآلهة – الناشر : السفير – الطبعة الأولى – ٢٠٠٨ ص ٦٢ ٠

[٧٨] الدكتور فاوستوس " – المرجع السابق – ص

[٧٩] أ٠د٠ سعد دعبيس : المرجع السابق ص ٤، ٥

[٨٠] أ٠د٠ سعد دعبيس – المرجع السابق – ص ٦، ٧، ٨

[٨١] هامش رقم واحد من إشارات ديوان أبجدية النجم البعيد – المرجع السابق ص ١١٤

[٨٢] د٠ فوزى عيسى : الشعر المعاصر فى الإسكندرية – مطبوعات المجلس الثقافى البريطانى – ١٩٩٧ – ص ٣٠ : ٣٢

[٨٣] فاروق شوشة : مقال بجريدة الأهرام " ما أبقت الريح لفؤاد طمان " – المرجع السابق

[٨٤] الدكتور محمد عبدالمطلب وآخرون فؤاد طمان شاعر الإسكندرية المرجع السابق صـ١٥ وما بعدها .

مصـــادر البحث

[١] فؤاد طمان : شاعر الإسكندرية :

(مجموعة مقالات بأقلام : فاروق شوشة، أ٠د٠ محمد زكى العشماوى، أ٠د٠ صلاح فضل، أ٠د٠ محمد عبد المطلب، محمد إبراهيم ابو سنة، د٠ كمال نشأت، د٠ حامد أبو أحمد) الطبعة الأولى (٢٠٠٦) – الناشر : دار السفير ٠

[٢] فؤاد طمان : شاعر الإسكندرية الكبير :

(ثلاثة مقالات بأقلام : أ٠د٠ سعد دعبيس، د٠ فوزى خضر، عذاب الركابى) الطبعة الأولى ٢٠٠٦ – الناشر : دار السفير ٠

[٣] دراسات فى شعر فؤاد طمان :

(مجموعة مقالات بأقلام : أ٠د٠ فوزى عيسى، أ٠د٠ محمد عبد المطلب، د٠حسن فتح الباب، أ٠د٠ يوسف نوفل، د٠صلاح عبد الحافظ، أحمد فضل شبلول)٠

[٤] ينابيع الإبداع ونبيذ الآلهة (حول تجربة فؤاد طمان الشعرية الاستثنائية) – محمود عبد الصمد زكريا – دار السفير – الطبعة الأولى (٢٠١٠) ٠

[٥] الشعر المعاصر فى الإسكندرية – د٠فوزى عيسى – مطبوعات المجلس الثقافى البريطانى بالإسكندرية – الطبعة الأولى ١٩٩٧

[٦] ديوان " بيروت تحت الحصار " للشاعر فؤاد طمان الطبعة الثانية (٢٠٠٠) دار السفير ٠

[٧] ديوان " أوراق الرحلة المرجأة " للشاعر فؤاد طمان الطبعة الثانية (٢٠٠١) دار السفير ٠

[٨] ديوان " مدى للورد والرصاص " للشاعر فؤاد طمان الطبعة الأولى (٢٠٠١) دار السفير ٠

[٩] ديوان " أبجدية النجم البعيد " للشاعر فؤاد طمان الطبعة الأولى (٢٠٠٣) دار السفير ٠

[١٠] ديوان : بكائية على البحر – فؤاد طمان الطبعة الأولى (٢٠٠٣) دار السفير ٠

[١١] ديوان : نبيذ الآلهة (أساطير) للشاعر فؤاد طمان الطبعة الأولى (٢٠٠٩) دار السفير ٠

[١٢] ما أبقت الريح (مختارات من شعر فؤاد طمان) الطبعة الأولى (٢٠٠٧) دار السفير ٠

[١٣] أشعار من الإسكندرية – فؤاد طمان – الطبعة الأولى (٢٠٠٨) الناشر دار السفير ٠

[١٤] قصائد من فؤاد طمان (مختارات) – دار السفير – الطبعة الأولى ٢٠١٠ ٠

[١٥] المختار من أشعار فؤاد طمان – الهيئة المصرية العامة للكتاب – (سلسلة الإبداع الشعرى المعاصر) – الطبعة الأولى ٢٠٠٩ ٠

[١٦] الأعمال الشعرية – جـ١ – فؤاد طمان الطبعة الأولى ٢٠٠٥ – دار السفير ٠

[١٧] الأساطير الإغريقية – حسن عبد الغفار – الطبعة الأولى (٢٠٠٩) الناشر : دار مشارق

[١٨] أسرار حرب لبنان : آلان مينارغ – ترجمة مجموعة من المترجمين بتنسيق غازى برو – الطبعة الأولى ٢٠٠٦ – الناشر : المكتبة الدولية – بيروت ٠

[١٩] ديوان كفافيس شاعر الإسكندرية – ترجمة د٠ نعيم عطية – الطبعة الأولى ١٩٩١ (مطبعة الجبلاوى) ٠

[٢٠] قسطنطين كفافيس : قصائد – ترجمة د٠حمدى إبراهيم – الطبعة الأولى ١٩٩٢ – الناشر مطبعة الأطلس ٠

[٢١] الدكتور فاوستوس – كريستوفر مارلو (ترجمة بسام بدران) – الطبعة الأولى ١٩٩٨ – الناشر : دار العائدى للدراسات والترجمة والنشر والتوزيع – دمشق ٠

[٢٢] أمل دنقل – الأعمال الكاملة – الطبعة الأولى ٢٠٠٣ – الناشر : المجلس الأعلى للثقافة ٠

[٢٣] أسطورة فاوست (بين مارلو وجوتة والحكيم وباكثير وفتحى رضوان) – رسالة دكتوراه – نهاد إبراهيم – الطبعة الأولى (٢٠٠٩) – الناشر : المجلس الأعلى للثقافة (مصر) ٠

[٢٤] الفولكلور والبحر – هوارس بيك – ترجمة أحمد محمود (الطبعة الأولى ٢٠٠٣) – المشروع القومى للترجمة (صادر عن المجلس الأعلى للثقافة) ٠

[٢٥] الأساطير الرومانية واليونانية – أمين سلامة – مكتبة النهضة المصرية – ١٩٨٨

[٢٦] فن الشعر – برومثيوس طليقاً (هوارس – شلى) – الدكتور لويس عوض – المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومى للترجمة) الطبعة الأولى ٢٠٠١ ٠

[٢٧] أسطورة " برومثيوس " فى الأدبين الانجليزى والفرنسى – (الجزء الثانى) – د٠ لويس عوض – ترجمة محمد الجندى وجمال الجزيرى – مراجعة د٠فاطمة موسى – الطبعة الأولى ٢٠٠١ – المشروع القومى للترجمة (صادر عن المجلس الأعلى للثقافة (مصر) ٠

[٢٨] مدخل إلى الشعر الفرنسى الحديث والمعاصر – دانيال نوفرس وجان لوى باكيس – ترجمة رجاء ياقوت الطبعة الأولى ٢٠٠٤ – المشروع القومى للترجمة (صادر عن المجلس الأعلى للثقافة) ٠

[٢٩] الأعمال الكاملة للشاعر أحمد عبد المعطى حجازى – دار سعاد الصباح الطبعة الأولى ١٩٩٣ ٠

[٣٠] صلاح عبد الصبور – حياتى فى الشعر – مكتبة الأسرة – سلسلة روائع السيرة الذاتية (الهيئة العامة للكتاب) طبعة ٢٠٠٣

[٣١] مطبوعة المركز الثقافى اليونانى بالقاهرة (وجهات أخرى مشاركة) : الدورة الحادية عشر لاحتفاليات " كفافيات " – الطبعة الأولى ٢٠٠٩

[٣٢] كلمة الشاعر فؤاد طمان عن تجربته الشعرية فى مؤتمر الشعر السكندرى الثانى – مؤسسة التقدم – ٢٠٠٩

[٣٣] المنجد فى اللغة والأعلام – الناشر : دار المشرق – بيروت – القسم الثانى – ط ٢١ مجددة

[٣٤] المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية – الطبعة الثانية ١٩٧٣ ٠

فهرس البحث

مبحث تمهيدى ....
١٩٣
١– مقدمة ١٩٣
٢– الشاعر وتجربته الشعرية ١٩٤
٣– منابع الإلهام لدى الشاعر ٢٠٥
المبحث الأول :ـ الأساطير الإغريقية ٢٠٨
المبحث الثانى :ـ الأساطير الفرعونية والبابلية والآشورية والفينيقية ٢٢٩
المبحث الثالث :ـ الإبداع العربى الحديث والمعاصر ٢٣٦
المبحث الرابع :ـ الواقع العربى المعاصر ٢٦٧
المبحث الخامس :ـ الأدب العالمى ٢٨٨
المبحث السادس :ـ التاريخ الفرعونى والعربى والإسلامى والإنسانى ٢٩٦
المبحث السابع :ـ التراث العربى والإسلامى ٣٠٠
المبحث الثامن :ـ الطبيعة..... ....٣٠٣
الخاتمة..... ....٣٠٩
الإشارات..... ....٣١٠
مصادر البحث..... ....٣١٧
الفهرس..... ....٣٢٠